مغامرات

أرسين لوبين

المصباح ال[illegible]ى

عدد ممتاز



القسم الأول

الصباح الفضى

الفصل الاول

جلس شرلوك هولمز والدكتور وطسون امام الموقد فى مكتب اوليهما ، ومددا أقدامهما التماسا لدفء النيران المتوهجة فى الموقد .

وكان غليون هولمز قد انطفأ فافرغ رماده ، وملاه بالتبغ واشعله ، وراح يدخن فى هدوء ويرقب حلقات الدخان المتصاعد الى السقف .. بينما تعلقت عينا وطسون بوجه صديقه ..

كان ينظر اليه فى اهتمام وترقب ، كما ينظر الكلب الى سيده بعينين مستديرتين لا يهتز لهما هدب ، فى انتظار اية اشارة أو ايماءة ليسارع الى تلبيتها .

وكان يسائل نفسه ، ترى هل سيخرج هولمز عن صمته ؟ وهل سيصارحه بما يدور بخلده ؟

ولكن هولمز لزم الصمت ، فقال وطسون ليغريه بالكلام :

— كل شىء راكد فى هذه الايام ، وليس ثمة اية قضية تشغلنا .

ولكن هولمز زم شفتيه ولم يتكلم .. كل ما هنالك ان حلقات الدخان ازدادت كثافة ، وتوالت بسرعة ، وخيل لوطسون ان صديقه يجد فى التدخين فى تلك اللحظة متعة لا ينعم بمثلها الا من كان هادىء البال راضيا عن الحياة كل رضى .

ويئس وطسون من حمل صديقه على الكلام ، فنهض الى النافذة واطل منها ..

كانت السماء ملبدة بالغيوم الداكنة ، والامطار تهطل فى

الخارج بشدة ، والشارع مقفر الا من مركبة تترنح فى الط
تحت وابل الامطار .

وفجاة هتف وطسون :

ـ هو ذا موزع البريد ..

وبعد قليل ، فتح خادم هولمز باب الغرفة ودخل موزع البريد .

قال هذا الاخير :

ـ يوجد باسمك خطابان مسجلان يا مستر هولمز ، تفضلت بالتوقيع باستلامهما ؟

فوقع هولمز على السجل ، ورافق موزع البريد الى الغرفة ، ثم عاد ادراجه وهو يفض احد الخطابين .. و ما جاء به .

قال وطسون بعد لحظة :

ـ يخيل الى ان هذا الخطاب يحمل اليك نبأ سار

فاجاب هولمز :

ـ نعم ، ان مضمونه لا يخلو من الطرافة .. كنت لحظة تتحدث عن القضايا .. وها هى قضية تسعى .. خذ واقرأ

فتناول وطسون الرسالة وقرأ فيها :

سيدى ..

انى اكتب اليك مستنجدا بمهارتك وخبرتك .. كنت ضحية حادث سطو خطير ذهبت سدى جميع التى بذلت لاماطة اللثام عن غوامضه .

وقد بعثت اليك اليوم بالبريد ، مجموعة من ال التى كتبت عن الحـــادث ، وسوف تجد فيهـا مز التفصيلات .

فاذا وافقت على الاضطلاع بهذه القضيـة ، فاننى ا

ريق تحت تصرفك . كما اضع تحت تصرفك (الشيك) فوق بهذا ، وقد وقعت عليه بامضائى ، ولك ان تكتب فيه م المبلغ الذى تريده لنفقات سفرك الى باريس .

وفى انتظار برقية منك بالموافقة أو الرفض ، ارجو التفضل ل موفور احترامى وتقديرى .

الامضاء

البارون فكتور دامبلفال

١٨ شارع موريللو

باريس

الى وما ان فرغ الدكتور وطسون من تلاوة الرسالة حتى .. وف هولمز :

ـ لقد جاءت هذه القضـــيـة فى الوقت المناسب فانى جة الى القيام برحلة قصيرة لشهود باريس ، خاصة وانه سارلقيح لى فرصة لزيارة هذه المدينة الجميلة منـذ معركتى هورة مع ارسين لوبين ..

ت الحق اننى ارحب بهذه القضية لكى اشهد معالم العاصمة لسية فى ظروف هادئة خالية من متاعب الصراع مع ذلك ن الخطير .

قال ذلك ومزق (الشيك) ، ثم فض الرسالة الثانية ، ه لم تكد تمر ببصره على سطورها ، حتى قطب حاجبيه بحركة تدل على الضيق والضجر ، ثم جمع الرسالة فى ع اليه بيده حتى جعل منها شـــبه كرة قذف بهـــا على ض .

ال قال وطســـون فى هلع :

مزيد ماذا حدث ؟

والتقط الرسالة ، ونشرها بين يديه .. وقرأ فيهـــا ى امات الدهشة تزداد وضوحا فى وجهه كلما امعن فى القراءة

« ايها الصديق العزيز

لاشك انك تعرف مبلغ اعجابي بك ، ومدى حرص
سمعتك .. ولذلك انصح لك بعدم الاضطلاع بالقضيـ
طلب اليك ان تميط اللثام عن غوامضها ، لان تدخلك
الى كثير من الاضرار . ولان جهودك لن تسفر الا عن
تثير الرثاء ، وستضطر آخر الامر الى الاعتراف بفشـ
الذريع ..

ولما كنت اشفق عليك من هذا المصير ، وارغب ر
مخلصة في ان اجنبك هذا الهوان ، فقد بادرت بالكـ
اليك ، لكي استحلفك بحق ما بيننا من صداقة .. ا
هذه القضية وتلزم مكانك الهادئ بجوار الموقد ..
تحياتي الى الدكتور وطسون ، واطيب تمنياتي لـ
العزيز .

المخلص

ارسين لوبين

وهتف وطسون وهو يقلب كفيه دهشة :

ـ ارسين لوبين !!

فضرب هولمز المائدة بقبضة يده وصاح :

ـ لقد بدا هذا الحيوان يضايقني ، انه يسخر مـ
لو كنت طفلا .. انه يشفق علي من الفشل ! !! ارا
من هذا ؟ ؟ الم ارغمه على رد الماسة الزرقاء التي

فقال وطسون :

ـ انه يخشاك ، ويود ان ينحيك من طريقه .

فصاح هولمز :

ـ كلام فارغ . ان ارسين لوبين لايخشى احـ
والدليل على ذلك انه يتحداني .

ـ ولكن كيف علي بامر الرسالة التي بعث بها اليك البارون
فال ؟

ـ وما ادراني ! ! انك تلقى علي اسئلة غاية في السخف
العزيز

ـ كنت اظن ..

ماذا ظننت ؟ ؟ هل ظننت انني ساحر ؟

ـ كلا .. ولكني رايتك تاتي بالمعجزات .

ـ لا احد يستطيع ان ياتي بالمعجزات .. كل ما افعله
فكر ، واحلل ، واصل الى النتيجة .. ولكني لا الجا
الى التخمين .. الاغبياء وحدهم هم الذين يفعلون ذلك

اطرق وطسون براسه ، بينما راح هولمز يذرع الغرفة
ذهابا وعلى وجهه دلائل الغيظ والضيق .

بعد قليل ، دق هولمز الجرس ، وامر خادمه ان يعد
ـه ..

فكر وطسون في الامر ، وهداه تفكيره الى ان صديقه
ازمع السفر ، فقال يحدث صديقه :

ـ هل صح عزمك على السفر الى باريس ياهولمز ؟

ـ ربما .

ـ وهل افهم من ذلك انك قبلت تحدي لوبين ، كما قبلت
البارون دامبلفال ؟

ـ ربما .

ـ اذن فسارافقك .

توقف هولمز عن السير وصاح :

ـ مهلا .. مهلا ايها الصديق .. الا تخشى ان يكسر لوبين
البعض كما كسر ذراعك اليسرى في معركتنا الاخيرة ؟

ـ كيف اخشاه وانت معي ؟

ـ حسنا .. سوف نثبت لهذا المغرور انه اخطأ حين

القى القفاز فى وجهى بمثل هذه القحة .. اسرع اذن وا
نفسك للسفر باول قطار ..
ــ الا تنتظر ورود الصحف التى قال البارون انه بـ
بها اليك ؟
ــ لا ضرورة لذلك ..
ــ هل ابرق للبارون لانبئه بانك قبلت القضية ؟
ــ اذا فعلت ذلك عرف لوبين اننى فى طريقى الى
وارى عندى ان تاخذ هذه المرة باسباب الحذر والكد
ووصل الصديقان الى (دوفر) بعد ظهر ذلك اليو
وهناك عبرا (المانش) فى ظروف ملائمة ، ثم استقلا الـ
السريع من كاليه الى باريس ، واستغرقت الرحلة
ساعات قضاها هولمز فى نوم عميق ، بينما جلس وط
بجانبه كالحارس الامين
واستيقظ هولمز من نومه ممتلئا نشاطا وحيوية .
كان مجرد التفكير فى انه سيلتحم مع لوبين فى معـ
حاسمة يملاه مرحا وسرورا ، فراح يفرك كفيه فى ار
كمن يتاهب لاستقبال الكثير من اسباب المتعة
وفى محطة باريس ، حمل هولمز معطفه بينما
وطسون الحقائب ، وغادر الصديقان المركبة .
قال هولمز وهو ينظر الى سماء باريس :
ــ ان السماء صافية ، والشمس مشرقة ، وكان بـ
تحتفل بمقدمنا
فهتف وطسون :
ــ ما اشد الزحام !!
ــ هذا من حسن حظنا ، فسوف لايعرفنا احد
هذه الجموع .
على انه ما كاد يفرغ من حديثه حتى سمع صوتا للمرة الثانية حاول هولمز ان يبعدها من طريقه ، ولكنها

ــ اهذا انت يا مستر هولمز ؟
فجمد فى مكانه وقد الجمته الدهشة .
ترى من ذلك الشيطان الذى يدعوه باسمه ؟؟
واجال الطرف حوله ، وراى الى جواره فتاة فى مقتبل
عمر ، ترتدى ثوبا بسيطا ولكنه انيق .
كانت ممشوقة القوام ، تكسو وجهها الفاتن مسحة الم
لق .
قالت مرة اخرى :
ــ انت مستر شرلوك هولمز ... اليس كذلك ؟
ولكنه لزم الصمت ، لا عن حكمة وحذر ، وانما عن دهشة
يرة .
قالت الفتاة للمرة الثالثة :
ــ هل لى شرف الحديث مع مستر هولمز ؟
فصاح فى ضيق وقد تملكته الريبة :
ــ ماذا تريدين منى ؟
واراد ان ينحيها من طريقه ، ولكنها ثبتت امامه وكانما
ت قدماها بالارض :
ــ اصغ الى يا سيدى .. ان الامر على جانب عظيم من
مية والخطورة .. اننى اعلم انك الان فى طريقك الى شارع
لو ..
ــ ماذا تقولين ؟
ــ اقول اننى اعلم انك فى طريقك الان الى شارع موريللو
لمنزل رقم ١٨ .. ولكن لا يجب ان تذهب .. اؤكد لك
سوف تندم .. لا تظن اننى اقول لك ذلك لغرض فى نفسى
ب خاص .. كلا .. انما اقول ذلك خدمة للحقيقة
اء لضميرى

قالت فى اصرار :
ـ ارجوك يا سيدى .. اتوسل اليك .. اواه ، ليتك
ـ ارجوك يا سيدى .. لا تكن عنيدا .. اواه ! لتصبح ان تفهمنى .
تعرف كيف اقنعك !! انظر الى يا سيدى .. انظر الى ولكنه انحرف بعيدا عنها ، وواصل السير ، وقال
الا ترى فيهما الصراحة والاخلاص ؟ ! الا ترى فيهما الصون يحدث الفتاة :
وحملقت اليه بعينيها الواسعتين الجميلتين ـ لا تنزعجى يا بنية .. وثقى انه سيمضى بالمهمة الى
كان فيهما سحر وحزن نهايتها .. وسوف ينتصر
وخيل للدكتور وطسون ان مثل هاتين العينين لا واسرع الخطى ليلحق بهولمز
ان تكونا الا مرآة صادقة لنفس صاحبتهما .. فهز ر

الفصل الثانى

وقال :

(الصراع الرهيب بين شرلوك هولمز وارسين لوبين)

ـ يخيل الى ان الآنسة تتكلم باخلاص
فقالت متوسلة :
ـ نعم .. نعم .. ويجب ان تثقا بى هذه العبارة ، بحروف كبيرة ، كانت اول ما وقع عليه
فقال وطسون : هولمز ووطسون عندما غادرا المحطة
ـ اننى واثق بك يا آنسة فقد مر امامهما عشرة رجال يحمل كل منهم لوحة ضخمة
ـ كم انا سعيدة .. ولكن صديقك .. ترى هل يثق على احد وجهيها العبارة انفة الذكر ، وعلى الوجه
ايضا ؟ اننى اشعر بانه يثق به .. انا موقنة من ذلك هذه الكلمات .
يا للسعادة ؟ ! كل شىء سيكون على ما يرام .. يالبـ النضال بين هولمز وارسين لوبين ـ وصول هولمز الى
فكرة مجيدة تلك التى خطرت لى وجعلتنى ابادر الى ـ البوليس السرى الانجليزى الكبير يحاول اماطة
اصغ الى يامستر هولمز .. هناك قطار يغادر بارمن لغز شارع موريللو ـ اقرا التفصيلات بجريدة
(كاليه) بعد عشرين دقيقة .. فى استطاعتك ان تعودى فرانس) »
تعال معى .. ان الطريق اليه من هنا .. وفى الوقت كان كل من الرجال العشرة ، يحمل لوحته على كتفيه
لشراء تذاكر السفر . فى يده عصا فى طرفها قطعة من الحديد ، يدق بها
وامسكت بساعد هولمز .. وحاولت ان تقوده الطريقة منتظمة .
التذاكر ، ولكنه جذب ساعده بلطف ، وقال بصوت فنظر وطسون حتى من الرجال العشرة ، ثم هز راسه
يبدو رقيقا : ودهشة وقال :
ـ معذرة يا آنسة .. يؤسفنى اننى لا استطيع ما معنى كل هذا يا هولمز !! كنت اظن بعد ان تتكرنا
على رغبتك .. فلم يحدث قط اننى انسحبت من مهمة ثقة ان احدا لن يشعر بقدومنا .. ولكن يخيل الى

الان انا سنجد بشارع موريللو فرقة من رجال البولي
لتحيتنا والترحيب بنا .. ومن يدرى فقد يعدون لنا استق
رسميا ويشربون الشمبانيا نخب صحتنا .

فعض هولمز على نواجذه ولم يجب

وقرأ المارة اللوحات وابتسموا ، وراح بعضهم يرسل
النكات سخرية من هولمز .

وكظم هذا الاخير غيظه ، واقترب من احد حملة اللوح
وسأله :

ـ متى استخدمت فى هذه المهمة ؟

ـ صباح اليوم

ـ ومتى بدأت السير فى الشوارع ؟

ـ منذ ساعة

ـ وهل وجدت اللوحة مكتوبة ومعدة ؟

ـ نعم . كانت مكتوبة ومعدة فى شركة الاعلانات عنـ
ذهبت اليها صباح اليوم

اذن فقد كان لوبين يعلم ان هولمز سيقبل التحـ
وسيدخل المعركة .

بل ان الرسالة التى بعث بها لوبين الى هولمز تدل
انه يريد هذه المعركة ويسعى اليها .

انه يريد الالتحام بغريمه العنيد مرة اخرى ..
لماذا ؟ وما الدافع له على استئناف النضال ؟ ترى هل
جزء من خطة مدبرة ؟!

وتردد هولمز لحظة ..

لابد ان يكون لوبين واثقا من النصر ، والا لما تحداه
الجـرأة ..

ترى هل القى هولمز بنفسه فى الفخ حين لبى دعوة الـ
دامبلفال دون تفكير ؟

ولكنه ما لبث ان هز كتفيه وهتف بصديقه :

ـ هلم بنا يا وطـسون

واستوقف احدى المركبات وقال للحوذى :

ـ اذهب بنا الى رقم ١٨ بشارع موريللو

يحف بشارع موريللو صفان من القصور الفخمة ، يطل
عضها على حديقة مونسو المشهورة ، ومن اجمل هذه القصور
اروعها ، القصر الذى يحمل رقم ١٨ ، والذى يقيم فيه
لبارون دامبلفال وزوجته واولادهما .

وقد استطاع البارون ، بما عرف عنه من سلامة الذوق
سعة الثراء أن يجعل من هذا القصر تحفة فنية رائعة

وفى مقدمة القصر فناء واسع يفصل بينه وبين الشارع
فى مؤخرته حديقة مترامية الاطراف ، تتعانق اشجارها مع
شجار حديقة مونسو .

اجتاز هولمز وصديقه الفناء الكبير ، ورافقهما الخادم الى
عة استقبال صغيرة فى الطابق الاول تطل على الحديقة

وكانت نظرة واحدة حولهما ، الى الاثاث الانيق والتحف
اللوحات الفنية التى تزين المكان ، كافية لاشعارهما بان
ون لابد وان يكون من اصحاب الملايين .

قال الدكتور وطسون وهو يدور ببصره فى جوانب المكان

ـ كل شىء هنا يدل على سلامة الذوق وسعة الثراء ..
س من العسير على المرء ان يلاحظ ان اولئك الذين وجدوا
وقتهم متسعا لجمع هذه التحف والمقتنيات الثمينة ..
ان يكونوا فى سن معينة .. فى الخمسين من العمر مثلا

على انه قبل ان يتم عبارته ، فتح الباب ودخل البارون
قليل تتبعه زوجته

وخلافا لما استنتجه وطسون . كان الزوجان فى مقتبل
ر ، وعلى جانب عظيم من الوسامة والاناقة ، وقد رحبا

بضيفيهما بحرارة . وعبرا عن شكرهما بعبارات متناهية في
الرقة .

قال البارون يحدث هولمز :

ـ الحق انني عاجز عن شكرك لما تكبدت من متاعب
ومشاق من اجلنا ، واني احمد للحادث الذى وقع لنا انه هيأ
لنا شرف الاستمتاع بلقائك و ..

وفكر وطسون : يا الهي .. ما ارق هؤلاء الفرنسيين !

واستطرد البارون قائلا :

ـ على ان الوقت من ذهب .. وخاصة وقتك انت يا مستر
هولمز .. واذا شئت فاننا نبدأ الحديث في الموضوع فورا .
فما رايك في هذه القضية يا مستر هولمز .. وهل ثمة امل
في اماطة اللثام عن خباياها ؟

فأجاب هولمز :

ـ لكي اميط اللثام عن خبايا موضوع . يجب اولا ان
اعرف تفصيلاته .

ـ الم تقرا التفصيلات ؟

ـ كلا .. وارجو ان تسرد على الموضوع في وضوح
وبلا خباء .. فما هو ؟

ـ انه حادث سرقة .

ـ ومتى وقعت هذه السرقة ؟

فأجابه البارون :

ـ في ليلة الاحد الماضي .

ـ اى منذ ستة ايام ؟ حسنا .. انني مصغ اليك ..

ـ يجب ان اقول لك اولا يا سيدي ، انني وزوجتي بـ
الرغم من اننا نعيش الحياة التي تلائم مركزنا الاجتماعي ، فاننا
قلما نغادر هذا القصر .. والواقع ان حياتنا تتلخص في
الاشراف على تربية اولادنا والاهتمام بتجميل قصرنا

واستقبال بعض الاصدقاء بين وقت وآخر .. وفيما عدا
ذلك فاننا نقضي اكثر امسياتنا هنا في الجناح الخاص بزوجتي
حيث نحتفظ باهم مقتنياتنا من التحف واللوحات الفنية
وفي مساء الاحد الماضي . اطفأت الانوار الكهربائية
وقصدت مع زوجتي الى مخدعنا كالعادة

ـ واين يقع هذا المخدع ؟

ـ بجوار هذه الغرفة حيث تجلس الان .. وفي صباح
اليوم التالي ، وهو يوم الاحد ، استيقظت مبكرا ؛ ولما كانت
سوزان ـ زوجتي ـ لا تزال مستغرقة في نومها ، فقد خرجت
من المخدع في هدوء حتى لا ازعجها ، وجئت الى هذه الغرفة
وهي غرفة استقبال صغيرة ملحقة بالمخدع ـ ولشد ما كانت
دهشتي حين وجدت هذه النافذة (واشار الى النافذة)
مفتوحة ، بينما كنا قد اغلقناها في الليلة السابقة .

ـ لعل احد الخدم ..

ـ كلا .. فان احدا من الخدم لا يجرؤ على الدخول في
الصباح قبل ان تدق الجرس .. اضف الى ذلك انني احرص
دائما على ان اغلق بنفسي هذا الباب الزجاجي المؤدى الى
المخدع ..
الصباح قبل ان تدق الجرس .. اضف الى ذلك انني احرص
ومعنى ذلك ان النافذة لابد ان تكون قد فتحت من
الخارج .. والدليل على ذلك ان اللوح الزجاجي الثاني الى
اليمين قد ازيل من النافذة .

ـ وعلام تطل هذه النافذة ؟

ـ هذه النافذة ـ كما تستطيع ان تتحقق بنفسك ـ
تؤدى الى شرفة يحيط بها سور من الحجارة
نحن هنا في الطابق الاول
الحديقة الكائنة خلف القصر ، والسور الذى يفصلها عن

حديقة (مونتسو) .

فمن المحقق اذن ان اللص جاء من حديقة (مونتسو [illegible]
وتخطى السور بواسطة سلم ، ثم صعد الى الشرفة

ـ تقول من المحقق ؟

ـ نعم ، فقد وجدنا على جانبى السور اثار السلم [illegible]
استخدمه اللص فى الصعود والهبوط .. وهذه الاثار [illegible]
عبارة عن ثقبين فى الارض نتيجة لارتكاز قائمتى السلم [illegible]
كذلك وجدت هذه الآثار تحت الشرفة .. مما يدل [illegible]
ان اللص استخدم فى الصعود اليها نفس السلم التى استخ[illegible]
لتخطى السور الذى يفصل بين حديقتنا وحديقة (مونتسو)

ـ ان حديقة (مونتسو) من الحدائق العامة التى [illegible]
اثناء الليل .. اليس كذلك ؟

ـ انها من الحدائق العامة ولكنها تظل مفتوحة ليـ[illegible]
ونهارا .

وعلى كل حال فان البيت رقم ١٤ تجرى به الآن [illegible]
بناء وترميم .. ومن السهل دخول الحديقة عن طريقه

ففكر هولمز قليلا ثم قال :

ـ لنتحدث الان عن السرقة .. يفهم من حديثـ[illegible]
السرقة حدثت فى نفس هذه الغرفة التى نجلس نحن [illegible]

ـ نعم .. كان يوجد هنا ، بجوار تمثال العذراء [illegible]
يرجع تاريخه الى القرن الثانى عشر ، مصباح [illegible]
الفضة .. ولكنه اختفى

ـ الم يسرق شيء آخر ؟

ـ كلا ..

ـ هل تستطيع ان تصف لى هذا المصباح ؟

ـ انه كأى مصباح عادى يتألف من قطعتين : [illegible]
البترول والثانية لشريط الاضاءة

ـ يخيل الى انه شيء لا قيمة له

ـ الواقع ان قيمة هذا النوع من المصابيح ضـئيلة
[illegible] لا تكاد تذكر ، ولكن هذا المصباح بالذات له قيمة عظيمة ،
[illegible] فقد اعتقدنا ان نخبيء فيه او على الاصح . فى الجزء المعد
[illegible] للبترول ـ حلية عالية عظيمة القيمة ، هى عقد من الذهب
[illegible] مرصع بمجموعة من الزمرد لا تقدر بثمن .

ـ ولم هذه العادة ؟

ـ لا اعلم يا سيدى .. كنا نعتقد ان هذا المصباح الفضى
[illegible] العتيق لا يمكن ان يلفت الانظار .. وان احدا لن يخطر له
[illegible] تضع فيه مثل هذه الحلية الثمينة

ـ الم يكن هناك من يعلم بامر هذا المخبأ ؟

ـ كلا

ـ فيما عدا اللص طبعا .. والا لما سرق المصباح .

ـ هذا صحيح .. ولكن كيف تسنى للص أن يعرفه ؟

ـ لم نعرف الطريقة السرية لفتح المصباح الا مصادفة

ـ ان هذه المصادفة ذاتها يمكن ان تكشف السر لاى
[illegible]ـسان .. لاى خادم من خدم القصر .. او لاى صديق
[illegible] اصدقاء الاسرة .. ولكن امض فى حديثك .. هل اخطرت
[illegible] العدالة ؟

ـ طبعا .. وقد اجرى احد القضاة تحقيقا دقيقا .
[illegible] قام مخبرو الصحف التى تعنى بالقضايا البوليسية
[illegible] تحقيقات واسعة النطاق .. ولكن الغموض لا يزال يكتنف
[illegible] الحادث ، ولم يسفر التحقيق عن نتيجة

فنهض هولمز ، وسار الى النافذة ، وفحصها ، وفحص
[illegible] الشرفة واستخدم عدسته فى فحص الآثار التى تركتها السلم
[illegible] على حافة المقصورة .. ثم طلب الى البارون ان يذهب به الى
[illegible] الحديقة ، وهناك جلس على احد المقاعد ، وارسل بصره الى

سقف القصر ..
وبعد ان تمضي بضع دقائق متأملا مفكرا ، نهض قائلا
وسار الى حيث وضع القوم صندوقين من الخشب للمستخدم
على الاثار التي تخلفت عن ارتكاز السلم الذى استند
اللص على ارض الحديقة . فرفع الصندوقين وجثا
ركبتيه ، وادنى وجهه من الثقبين باحثا فاحصا . وقال
الابعاد .. ثم فحص بالمثل الاثار التي تركها اللص عند
الذى يفصل حديقة القصر عن حديقة (مونتسو) .

الفصل الثالث

عاد هولمز والبارون الى قاعة الاستقبال الصغيرة
بالمخدع ، حيث كانت البارونة وولسون فى الانتظار
ولزم هولمز الصمت لحظة ثم قال :
ـ لقد لفت نظرى منذ بدأت قصتك يا سيدى ال
ان الحادث على نحو ما وصفته قد تم فى بساطة متناهية .
سلم لعبور سور الحديقة .. نفس السلم للصعود
الشرفة ، لوح من زجاج النافذة يزيله اللص ليتمكن من
النافذة .. مصباح فضي يختاره اللص من بين عشرات
الثمينة فيأخذه ويمضي فى سبيله ..
كلا .. كلا .. ياسيدى البارون .. من
السرقة لم تتم بهذه السهولة .
ـ كيف تمت اذن ؟
ـ لقد سرق المصباح الفضى بتدبير ارسين لوبين
اشراقه
فهتف البارون :
ـ ارسين لوبين !!

ـ نعم . واكثر من ذلك ان السرقة لم تحدث من الخارج
انما حدثت من الداخل .. بواسطة احد اهل القصر ، كأحد
مثلا .. واكبر الظن ان السارق هبط من غرفته
من سطح القصر الى الشرفة باستخدام المواسير ..
عندما كنت فى الحديقة ، رأيت أكثر من ماسورة يمكن
استخدامها فى هذا الغرض .
ـ ولكن اين الادلة ؟!
ـ لو كان لوبين قد وصل الى هذه الغرفة لما خرج منها
صفر اليدين ..
ـ انه لم يخرج صفر اليدين .. لقد اخذ المصباح
ـ ان اخذ المصباح الفضى لم يكن يمنعه من اخذ تحف
.. كانت هناك علبة تبغ مرصعة بالماس ، وعقد من
الثمين .. ولم يكن الاستيلاء عليهما ليكلفه اكثر من
يد يده ليأخذ مايريد .. ولكنه لم يستول عليهما لسبب
هو انه لم يرهما .. لانه لم يدخل الى هذه الغرفة
متناهية .
سأله البارون :
ويماذا اذن تفسر الآثار التي وجدناها ؟
كلام فارغ .. آثار مصطنعة للتضليل وإبعاد الشبهات
. والخدوش التي وجدت على حافة الشرفة نتيجة
الواقف السلم بها ؟
انها خدعة دبرت باستخدام ورق الصنفرة ..واليك
هذا الورق وجدتها فى الحديقة وعلى ارض الشرفة
وآثار السلم فى ارض الحديقة ؟
خدعة أخرى .. واذا قارنا الثقبين الموجودين فى
تحت الشرفة نتيجة لوضع السلم هناك ، بالثقبين

صندوق البريد ؟
ـ طبعا
ـ من حملها الى صندوق البريد ؟
فأجاب البارون :
ـ دومينيك .. خادمي الخاص منذ عشرين عاما .. وهو
رجل مخلص لا سبيل الى الشك في امانته .. واى بحث في
هذه الناحية هو جهد ضائع
فقال وطسون متفلسفا :
ـ ان اى بحث في اى اتجاه لا يعد جهدا ضائعا .

* * *

وانهى هولمز المرحلة الأولى من التحقيق عند هذا الحد
ثم خلا الى نفسه في الغرفة التى اعدت له ..
وبعد ساعة ، التقى على مائدة العشاء بالطفلتين ، صوز
وهنريتا ، ابنتى البارون دميلفال . وهما طفلتان جميلتـ
تناهزان الثامنة والعاشرة ...
ودار الحديث حول المائدة في بعض الشئون العامة ، ور
هولمز على مجاملات البارون وزوجته بشيء من الجفـ
والاقتضاب فلزم الزوجان الصمت .
ثم اديرت اقداح القهوة ، فازدرد هولمز قدحه ، وتأهـ
للانصراف .
وفي هذه اللحظة ، دخل احد الخدم وقدم اليه برقـ
وردت في التو واللحظة ، ففضها وقرأ فيها :
« اسمح لي ان اعبر لك عن عظيم اعجابي وتقديري
فان النتيجة التي وصلت اليها في هذه الفترة الوجيزة تبعـ
على الدهشة حقا » .
ارسين لوبين

* * *

وذعر هولمز ، ودفع بالبرقية الى البارون وهو يقول :
ـ الا تعتقد الآن ياسيدى ان جدران قصرك لها آذان وعيون ؟
وذهل البارون وغمغم قائلا :
ـ الحق انني لا افهم شيئا ..
ـ ولا انا ... كل ما افهمه انه ما من حركة تحدث هنا الا ويعلم بها لوبين ، وما من كلمة تقال الا ويسمعها .

الفصل الرابع

في ذلك المساء ، اوى الدكتور وطسون الى فراشه وهو ناعم البال شأن كل انسان ادى واجبه على الوجه الاكمل ، فلم يكد رأسه يستقر على الوسادة حتى استغرق في نوم عميق . ورأى فيما يرى النائم اسعد الاحلام ... رأى انه يطارد لوبين وانه احدق به ، ومد يده ليلقى القبض عليه .. وكان انفعاله من القوة بحيث استيقظ من نومه . وحينئذ شعر بانسان يحوم حول فراشه . فاختطف مسدسه من تحت الوسادة وهتف :
ـ مكانك يالوبين .. ساطلق النار اذا اتيت بحركة .
فسمع صوتا يجيب :
ـ لك الله أيها الصديق .. ما اشد تفاؤلك ! !
ـ آه ... أهذا انت ياهولمز ؟ هل انت بحاجة الى ؟
فأجاب هولمز :
انني بحاجة الى عينيك ... انهض
واقتاده الى النافذة واستطرد قائلا :
ـ انظر ... الى الجانب الآخر من السور الذى يفصل بين حديقة القصر وحديقة (مونسو) ... الا ترى شيئا ؟

وانقض وطسون على الرجل وامسك به ، وحاول ان
يشل حركته ، ولكن الرجل تحول اليه فجأة ، ولطمه باحدى
يديه ، وأغمد خنجرا في صدره بيده الأخرى ، فتأوه وطسون
ثم ترنح وسقط على الأرض .

فصاح هولمز :

ـ الويل لهم اذا كانوا قتلوه .

ومدد وطسون على أرض الحديقة ، ثم هجم على السلم
... ولكن بعد فوات الوقت ...

كان الرجل قد تسلق السلم ، وانضم الى زميله
وتوارى للأنتهم بين أشجار حديقة مونسو .

وعاد هولمز الى صديقه وركع بجواره وراح يهتف :

ـ وطسون ... وطسون .. ان اصابتك ليست
خطيرة ... أليس كذلك ؟ مجرد جرح سطحي .

وفتحت أبواب القصر فجأة ، وأقبل البارون دامبلفال
وخلفه بعض الخدم يحملون الشموع .

صاح البارون :

ـ ماذا حدث ؟ .. هل جرح الدكتور وطسون ؟

فأجاب هولمز محاولا أن يغالط نفسه :

ـ انه خدش بسيط ...

ولكن الدم كان يتدفق من صدر وطسون ، وقد ا
وجه الرجل وغارت عيناه ..

* * *

واستدعي احد الأطباء على عجل ، فجاء بعد نحو عش
دقيقة وفحص وطسون ، وقرر أن نصل الخنجر كان
بعد أربعة ملليمترات من قلب المصاب .

فصاح هولمز :

ـ على بعد أربعة ملليمترات فقط من القلب !!! حق

لسعيد الحظ !!!

فغمغم الطبيب في دهشة :

ـ ماذا تعني ؟

ـ أعني انه قوي البنية ، وسيبرأ من اصابته ويغادر
الفراش بعد ...

فقاطعه الطبيب :

ـ يجب ان يلزم الفراش ستة أسابيع على الأقل ...

ـ لا أكثر من ذلك ؟

ـ كلا ... اللهم الا اذا حدثت مضاعفات ..

ـ يا للشيطان !! ولماذا تريد أن تحدث له مضاعفات ؟؟

* * *

ولما اطمأن هولمز على حياة صديقه .. لحق بالبارون في
المخدع ..

كان اللص في هذه المرة جريئا غاية الجراة .. فقد حمل
كل ما وصلت اليه يداه ...

حمل علبة التبغ المرصعة بالأحجار الكريمة . وعقد
اللؤلؤ الأثري ، وغير ذلك من التحف الخفيفة الثمينة التي
يمكن أن يتسع لها جيب لص يعرف أصول المهنة .

وكانت النافذة التي دخل منها اللص لا تزال مفتوحة ،
واثبت التحقيق السريع الذي قام به هولمز في تلك الساعة
المتأخرة من الليل ، أن اللص دخل عن طريق حديقة مونسو ،
وانه استخدم سلما خشبية جاء بها من العمارة المجاورة التي
يعمل البناؤون في تشييدها .

قال البارون وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة :

ـ صفوة القول ان هذا الحادث هو تكرار لحادث سرقة
مصباح القفص .. نفس الاسلوب ، ونفس الخطوات ..

فأجاب هولمز :

ـ هذا صحيح ، اذا جاز لنا ان نأخذ بنظرية المر
الذى قام بتحقيق الحادث الأول .
ـ الا تؤمن انت بصحة هذه النظرية ؟؟ الا ترى ان
الحادث بمحض وجهة نظرك فى كيفية وقوع الحادث الا
ـ بل على العكس يا سيدى ... انه يؤيدها .
ـ اهذا ممكن ؟؟ الم تر بعينى رأسك أن اللص قد
من الخارج ؟؟ الا زلت تصر بعد حادث اليوم على ان الم
الفضى قد سرق بالاتفاق من احد خدم القصر ..
ـ بالاتفاق مع شخص يقيم فى القصر .
ـ اذن كيف تفسر ...
فقاطعه هولمز :
ـ لن افسر شيئا ياسيدى .. اننى أمام حادثين لا
بينهما الا فى الظاهر .. فانا احكم عليهما فرادى .. و
ان اجد الصلة التى تربط بينهما .
وكان يتكلم بلهجة الواثق من نفسه ، فلم يسع
الا الرضوخ والتظاهر بالاقتناع .. فاطرق برأسه
ثم قال :
ـ حسنا .. يجب على كل حال ان نخطر الشرطة
فصاح هولمز بحدة :
ـ كلا .. لا تفعل .. فليس فى نيتى الاتصال ب
الا حين الحاجة اليهم .
ـ وحادث السرقة .. والطلقات النارية ؟
ـ هذا لا يهم .
ـ وصديقك الجريح ؟
ـ اتصل بالطبيب واطلب اليه ان يكتم الا
وسأقوم انا بالتفاهم مع رجال العدالة .

* * *

المر والفضى يومان لم يقع خلالها اى حادث .. ولكن هولمز
لم يكف عن البحث والاستقصاء .
ان كان يحز فى نفسه ويجرح كبرياءه ان ذلك الحادث
الاجرى قد وقع تحت سمعه وبصره دون أن يستطيع له
دفعا .. فاخذ يعمل بحماسة واهتمام لا حد لهما ...
قد قام بتفتيش القصر والحديقة تفتيشا دقيقا ، واستجوب
الخدم ، وقضى وقتا طويلا فى المطبخ واصطبلات الخيل ، وعلى
الرغم من انه لم يعثر على اى دليل يضىء له الطريق ، فانه
يفقد الأمل .
قال لنفسه :
ـ سأجد الدليل .. وسأجده هنا .. ان معركة اليوم
لا ارسين لوبين ، تختلف عن معركتنا الاولى ، حين كان
والمعين على أن أسير فى الظلام ، نحو غاية مجهولة ... اما الآن
فنى على ارض المعركة ذاتها ، وغريمى الأول فى هذه المعركة
ليس ارسين لوبين الذى لا يرى ولا يقهر ، وانما شريكه الذى
يم بين جدران هذا القصر ، وابسط دليل اقع عليه ..
ف يرشدنى اليه ، ويبدد كل هذا الظلام الذى نتخبط
الشرطة باجره ..

* * *

وهذا الدليل البسيط الذى كان هولمز يجد فى البحث
، والذى استطاع ببراعته وعبقريته أن يستخلص منه
النتائج ما جعل حادث المصباح الفضى اعظم قضية تجلت
مواهبه .. هذا الدليل البسيط قد ساقته اليه الصدفة
ية فسجل به اعظم نصر فى حياته كبوليس سرى .
الاسقفد حدث بعد ظهر اليوم الثالث انه وصل فى بحثه
به الى غرفة تقع فوق مخدع البارون ، تتلقى فيها
بان دروسهما على يد المربية .

وفى هذه الغرفة ، التقى هولمز بهنريتا ، اصغر الافراد …
وكانت تبحث عن مقص .

قالت له ببساطة الاطفال :

ـ هل تعلم انى اصنع اوراقا كتلك التى وردت … منذ بضعة ايام ؟

ـ منذ بضعة ايام ؟

ـ نعم … حين كنت تتناول الطعام … الم … اليك الخادم ورقة … اعنى برقية ؟؟ التى … اصنع مثلها .

قالت ذلك وانصرفت …

ولم تكن كلماتها تعنى شيئا اكثر من انها مجرد … طفلة تحاول المفاخرة بمقدرتها ، وقد استمع اليها هو … شارد الفكر ثم استمر فى بحثه وتنقيبه ..

ولكنه توقف فجأة ، وقد تنبه الى مغزى العبارة … التى نطقت بها الطفلة فانطلق فى اثرها والحق بها … السلم وقال لها :

ـ اذن فانت تعرفين كيف تلصقين الكلمات على … كما فى البرقيات ؟

فاجابت الطفلة فى خيلاء :

ـ نعم … انى اقص الكلمات المطبوعة وال… الورق .

ـ ومن علمك هذه اللعبة الجميلة ؟

ـ الآنسة .. مربيتى .. لقد رأيتها تفعل ذلك … تقص الكلمات من الصحف وتلصقها .

ـ وماذا تصنع بها بعد أن تلصقها ؟

ـ تصنع منها برقيات ورسائل تبعث بها .

فعاد هولمز الى الغرفة وقد اثارت هذه الكلمات …

… يعصر ذهنه فى البحث عن مغزاها .

ووقع بصره على حزمة من الصحف فوق الموقد فتناولها … بسطها امامه ، واكتشف ان هناك فعلا بعض كلمات وسطور قد قطعت من بعض الصحف بعناية ، ولكن كان يكفيه ان …را الكلمات السابقة واللاحقة لكى يدرك ان الكلمات الناقصة … قطعت كيفما اتفق ، ولعل هنريتا هى التى قطعتها بالمقص … العبث .

ولكن يحتمل ان تكون بين هذه الصحف ، صحيفة قطعت …ها الآنسة كلمات ذات معنى ، فكيف يتحقق من ذلك ؟

وراح هولمز يتصفح الكتب المدرسية الموضوعة فوق …رة ثم انتقل منها الى مجموعة من الكتب كانت فوق احد … رفوف . وفجأة ، افلتت من بين شفتيه صيحة جذل ، فقد … تحت طائفة من الكراسات القديمة المهملة على احد …يبات التى تعلم الاطفال القراءة عن طريق الرسوم والصور … وجود فراغ فى احدى صفحات الكتيب .

و… بفحص الصفحة ؛ وجد انها تتضمن اسماء ايام الاسبوع …ن والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة والسبت ، اما … على " الاحد " فقد قطعت من الصفحة .

وتذكر هولمز ان المصباح الفضى قد سرق فى ليلة الاحد … خالجه ذلك الشعور الذى قلما يخطىء ، والذى طالما … كلما امسك بطرف الخيط فى احدى القضايا …ة .

… ازدادت ثقته بنفسه ، وراح يقلب صفحات الكتيب … ان وجد مفاجأة جديدة .

…جد فى احدى الصفحات المخصصة للحروف الابجدية … الحسابية ، ان هناك سبعة حروف وثلاثة ارقام قد … الصفحة ، فسجل هذه الحروف والارقام فى مفكرته

وذهب هولمز الى البارون ، والقى عليه سؤالا مباشرا
الانسة ، ولكن البارون نظر اليه مستنكرا وصاح :

ـ هل ترتاب فى الانسة اليس ديمون ؟ هذا مستحيل

ـ متى التحقت هذه الانسة بخدمتكم ؟

ـ منذ عام تقريبا ، ولكنى لا اعرف انسانا اكثر م
استقامة ، او اجدر منها بثقتى .

ـ كيف حدث اننى لم ارها حتى الان ؟

ـ كانت فى اجازة لمدة يومين .

ـ والان ؟

ـ ما كادت تعود وتعلم بما حدث حتى تطوعت لـ
على الدكتور وطسون .. ان لها كل صفات الممرضة الـ
فهى لطيفة وطبعة ويقظة ، ويبدو ان الدكتور وطسون
ارتاح اليها .

وكان هولمز قد نسى تماما فى غمرة الحوادث الا
عن صحة صديقه ، فغمغم قائلا :

ـ هذا حسن .

ثم بعد لحظة :

ـ وهل خرجت الانسة اليس ديمون فى صبا
الاحد

ـ تعنى فى صباح اليوم التالى لحدوث السرقة ؟

ـ نعم .

فدعا البارون زوجته والقى عليها نفس السؤال

ـ انها خرجت مع الطفلتين فى الساعة الحاد
كالعادة لحضور القداس فى الكنيسة

ـ وقبل الساعة الحادية عشرة ؟

ـ قبل الساعة الحادية عشرة ؟ كلا .. صبرا
اننى كنت فى ذلك اليوم فى اشد حالات الانزعاج بسـ

ولكنى اذكر انها طلبت منى فى مساء السبت هزيمتنا ..
بالخروج فى صباح الاحد لرؤية ابنة عمها . قل ماشئت
ريس فى زيارة عابرة .. ولكن لا شك ان مستـ من ان تحنى
فى اليس ديمون ؟

فاجاب هولمز :

ـ كلا بالتأكيد .. انما اردت فقط التحقق من ..
التفصيلات .

وصعد هولمز الى غرفة وطسون ورأى على اثر دخوله
فتاة طويلة القامة ترتدى زى الممرضات منحنية فوق المريض
وبيدها ملعقة دواء .

ولما استدارت الفتاة ، عرف فيها هولمز على الفـ
الصبية التى قابلته فى المحطة وحاولت ان تثنيه عن تحقيق
حادث السرقة .

لم يدر بينهما حديث او ايضاح .. كل ما هنالك ان الفتاة
ابتسمت له ابتسامة حلوة ولم يظهر على وجهها او فى حركاتها
شىء من دلائل الاضطراب او الانزعاج .. وحاول هولمز من
جانبه ان يقول شيئا ، فلم تسعفه بديهته ولزم الصمت ..
وعادت الفتاة الى عملها فى هدوء تام تحت نظرات هولمز
نة بالدهشة والحيرة .. فغسلت جرح وطسون واعادت
ميده دون ان تتلاشى عن شفتيها ابتسامتها الرقيقة
شرحة ..

ودار هولمز على عقبيه ، وهبط الى فناء القصر ، حيث
نت سيارة البارون دامبلفال فى الانتظار ، فامر السائق ان
ب به الى شارع « لوفالوا » ، حيث مقر شركة السيارات
تتبعها السيارة رقم ٨٢٧٩ .

وعلم هولمز من مدير الشركة ، بعد ان فحص السجلات
السائق الذى كان يقود السيارة فى صباح يوم الاحد

كانت تأتي كل يوم تقريبا .

ـ وهل جاءت بعد يوم الاحد ؟

ـ جاءت مرة واحدة .

وهي هنا الان .

ـ ماذا تقول ؟ هي هنا الان ؟

ـ نعم ..

ـ ومتى جاءت ؟ ؟

ـ منذ بضع دقائق .. والمركبة التي اقلتها

تنتظرها بميدان سان فرديناند كالعادة .

ـ من الساكن الذي يقيم بالطابق الثاني ؟

ـ يوجد بالطابق الثاني ساكنان ، صانعة ار

الانسة « لانجيه » ورجل استأجر غرفتين مؤثثتين

باسم بريسون .

ـ لماذا تقول « باسم بريسون » اليس هذا هو

ـ اعتقد انه اسم مستعار ، ان زوجتي تقوم

الغرفتين . وقد لاحظت انه ليس بين اقمصته قمـ

عليهما نفس الحروف التي تدل على اسم صاحبها

ـ وكيف يعيش هذا المستأجر ؟

ـ انه يكاد يعيش في الخارج ، واحيانا تمر ثلا

ان يعود الى مسكنه .

ـ هل عاد في ليلة الاحد الماضي ؟

ـ في ليلة الاحد الماضي ؟ دعني افكر .. آه ..

عاد في ليلة الاحد الماضي ولم يبرح مسكنه بعد ذلك

ـ هل تستطيع ان تصف لي هذا الشخص ؟

ـ يا الهي .. لا اعتقـــد انني استطيع .. تراه

كالحرباء . طويل تارة وقصير تارة اخرى .. تراه

ويوما نحيلا .. يوما اشقر ويوما اسمر .. الحق

وقع عليه بصري خيل الى انني ارى شخصا لا اعرفه ولم

يسبق لي ان رأيته .

فتبادل جانيمار وهولمز نظرة ذات معنى وتمتم الاول :

ـ انه هو بغير شك .

وراح المفتش العجوز يقبض اصابعه ويبسطها بحـركة

بية .

اما هولمز فقد احس بدوره بان نبضات قلبـــه تتلاحق

رعة .

وفجأة همس البواب :

ـ صه .. ها هي الفتاة .

والواقع ، ان الفتاة غادرت البيت في تلك اللحظةوراحت

رق الميدان .

واستطرد البواب :

ـ وها هو مسيو بريسون

ـ بريسون ؟ اين هو ؟

ـ ذلك الذي يحمل حزمة صغيرة تحت ابطه

ـ ولكنه يسير بعيدا عن الفتاة .. كأنه لا يعرفها . .

قصدت الفتاة وحدها الى حيث تنتظرها المركبة .

فأجاب البواب :

ـ الواقع انني لم ارهما معا قط .

نهض هولمز وجانيمار على الفور ..

د رأيا وجه بريسون واضحا جليا ، وادركا انه لوبين

.

ان لوبين قد سار في شارع تيرن في الاتجاه المضاد

فسأل جانيمار صاحبه :

ايهما تريد ان تتعقب ؟ لوبين ام الفتاة ؟

اب هولمز في غير تردد .

انه الصيد الاكبر
ـ سأتعقبه هو طبعا .. انه الصيد الاكبر

فقال جانيمار :
ـ اذن فسأتعقب الفتاة .
ولم يشأ هولمز ان يضع جانيمار اصبعه فى الفـ
فهتف به :
ـ كلا .. كلا .. ابق معى .. اما الفتاة فلن
اين اجدها .
وانطلقا فى اثر لوبين ، وكانا يتواريان خلف الـ
ووراء اكشاك بيع الصحف تارة اخرى حتى لا يفطن
ان هناك من يطارده .
على ان المطاردة كانت سهلة ، لان لوبين كان يمشى
ولا يتلفت حوله ، وكان يعرج قليلا بقدمه اليمنى
عرج طفيف جدا لا تتبينه الا عين خبير .
قال جانيمار :
ـ انه يتظاهر بالعرج امعانا فى اخفاء شخصيته
ثم استطرد بعد قليل :
ـ آه .. حبذا لو دعونا اثنين او ثلاثة من رجال
اننى اخشى ان يفلت منا .
واطبقنا عليه .. اننى اخشى ان يفلت منا .
ولكنهما لم يصادفا احدا من رجال الشرطة
تيرن ، الى ان اجتاز لوبين البوابة الكبيرة المعروفة
الاستحكامات .. وحينئذ اصبح الاعتماد على
خارجية امرا مشكوكا فيه .
قال هولمز :
ـ ان الطريق مقفـــر .. ويحسن بنا ان
لا يشعر باننا نطارده .
ووصلا الى شارع فيكتور هيجو ، وهناك اقتر
كل منهما رصيفا ، وراحا يتقدمان ويستتران بالاخر

واستمرت المطاردة زهاء عشرين دقيقة الى ان انحرف
وبين يسارا ومشى فى محاذاة نهر السين .
ولاحظ هولمز وجانيمار ان غريمهما انحدر نحو الشاطىء
وقفا فى مكانهما لا يدريان ماذا يفعلان .
على ان لوبين ما لبث ان عاد ادراجه ، فتواريا خلف احد
عمدة حتى لا يراهما ..
ومر لوبين على مقربة منهما ، فلاحظا ان الحزمة ليست

وما ان ابتعد لوبين ، حتى خرج رجل من احد المنازل
ـبة .. واخذ يسير فى اثره متواريا وراء الاشجار .
فقال هولمز بصوت خافت :
ـ يخيل الى انه يطارده مثلنا .
واستمرت المطاردة ولكنها ازدادت تعقيدا بظهور ذلك
ـيل .
وقفل لوبين عائدا فى نفس الطريق التى سلكها فاجتاز
شارع تيرن ، ودخل منزله بميدان سان فرديناند .
وكان البواب يهم بغلق الباب حين اقترب منه جانيمار
ـه :
ـ انه عاد .. اليس كذلك ؟
ـ نعم ، وقد رايته
ـ هل يوجد احد معه فى الشقة ؟
ـ كلا .. وليس عنده خدم .. انه يتناول طعامه فى
ـ دائما ..
ـ الا يوجد هنا سلم للخدم ؟
ـ كلا
ـ فقال جانيمار محدثا هولمز :
ـ ان خير ما نفعله ان ارابط انا بباب لوبين ، بينما تذهب

انت الى مركز بوليس شارع ديعود لطلب النجـ
ساعطيك رسالة الى ضابط البوليس هناك
فقال هولمز معترضا:
ـ واذا هرب خلال ذلك ؟
ـ كيف يهرب وانا احرس باب شقته .
ـ واحد ضد واحد .. ستكون المعركة معه غير
ـ ليس فى استطاعتى اقتحام الشقة وخاصة ف
لاننى لا احمل تفويضا بذلك
فهز هولمز كتفيه واجاب:
ـ متى القيت القبض على لوبين ، فلن يسالك
ظروف اعتقاله .. ولن يثير احد مسالة الشكليات
الامر لا يتطلب منا اكثر من نقرع جرس الباب ..
ذلك ما يكون .
وصعدا الى الطابق الثانى ، ووقفا بباب شقة
وضع جانيمار اصبعه على زر الجرس وضغط
فى الداخل ولكنهما لم يسمعا اية حركة ..
فقرع جانيمار الجرس مرة اخرى .. ولكن
قال هولمز فى همس:
ـ فلندخل .
ـ هلم بنا ..
ولكنهما مع ذلك ترددا ، كما يتردد الانسان
على عمل حاسم ..
ترددا ، لانهما ادركا فجاة ان لوبين لايمكن
الداخل ، على مقربة منهما ، وليس ما يفصل
غير هذا الباب الرقيق الذى يمكن تحطيمه بقبضة
كانا يعرفان هذا الشيطان المريد حق المعرفة
ليس من الطراز الذى يضع نفسه فى مثل هذا الفخ :

لخصومه باعتقاله بمثل هذه السهولة .
كلا .. كلا .. والف مرة كلا ..
من المحقق انه ليس بالداخل ، وانه استطاع الفرار من
احدى النوافذ او من السقف ، او باية وسيلة اخرى من
الوسائل التى لابد انه اعدها لمواجهة مثل هذه الظروف ..
ومرت بجسدهما رعدة ، فقد سمعا فى الجانب الاخر
من الباب حركة طفيفة اشاعت الذعر فى نفسيهما .
احسا ، رغم جميع الافتراضات ، بانه هناك ، لا يفصله
عنهما غير هذا الباب ، وانه الان ينصت اليهما .. ويسمع
بينهما ..
فماذا يفعلان ؟
كان الموقف محيرا ومحزنا ..
وعلى الرغم من حنكتهما ورباطة جاشهما فقد بلغ من
اضطرابهما ان خيل الى كل منهما انه يسمع صوت نبضات
ونظر جانيمار الى هولمز من ركن عينه كانما ليستشيره .
جمع قبضة يده واهوى بها على الباب ..
وهنا سمعا جلبة فى الداخل .. جلبة واضحة لا شك
...
واسند هولمز كتفه الى الباب ودفعه بقوة ، ففتح الباب
ولكنهما توقفا فجاة .. وجمدا فى مكانيهما ، فقد دوى فى ذات
طلق نارى تردد صداه بين جدران الشقة
وعندما استردا انفاسهما ودخلا ، وجدا الرجل ممددا
على الارض ، ومسدسه فى يده .
وانحنى جانيمار فوقه وادار راسه .. فراى الدم ينفجر
من جرح عميق فى خده ويسيل على وجهه ..

ـ لقد حجب الدم قسمات وجهه ..

وصاح هولمز :

ـ بالشيطان .. انه ليس لوبين

ـ كيف علمت ؟ انك لم تفحصه بعد ..

فعض هولمز على شفته وقال :

ـ ان ارسين لوبين ليس الرجل الذى يقتل نف

ـ ولكننا رأيناه فى الخارج وخيل الينا انه ارسين

ـ خيل الينا ذلك لاننا اردنا ان يكون الامر كذ

ان هذا الرجل يسيطر على اخيلتنا ويرزح على صد

ويكاد يحطم أعصابنا .

ـ اذن لابد ان يكون هذا احد اعوانه

ـ ان اعوان ارسين لوبين لا ينتحرون

ـ من يكون اذن ؟

وفتشا ثياب الجثة ، فوجد هولمز فى احد الجيوب
خالية ، ووجد جانيمار فى جيب اخر بضعة فرنكات
يجد فى ثيابه اية اشارة يمكن ان ترشد الى هويته

اما حقائبه الثلاث ، فلم يكن بها الا بعض الثياب
والخارجية .

ووقع بصر جاليمار على مجموعة من الصحف
الموقد ، ففحصها ، ووجدها كلها تتحدث عن سرقة
القضى ..

وانصرف هولمز وجاليمار بعد نحو ساعة ، و
يجهلان شخصية الرجل الذى ادى تدخلهما الى ال

ترى من يكون هذا الرجل ؟ ولماذا انتحر ؟ و
بينه وبين حادث الصباح القضى ؟؟ ومن الرجل الذ
كان يراقبه ويطارده على ضفة النهر ؟

كلها اسئلة غامضة .. لا يوجد ما يلقى عليها
الضوء .

وقد اوى هولمز الى فراشه ، تلك الليلة وهو جد مكتئب مهموم .

وفى الصباح ، تلقى البرقية التالية :

« يتشرف ارسين لوبين بان ينهى اليكم نبأ موته فى شخص بريسون ، ويسره أن يدعوكم للاشتراك فى تشييع جنازته ، التى ستشيع على نفقة الدولة فى صباح الخميس ٢٥ يونية » .

الفصل الخامس

قال هولمز محدثا صديقه وطسون وهو يلوح بالبرقية التى بعث بها لوبين اليه :

ـ ان ما يضايقنى فى هذه القضية ايها الصديق ، اننى احس دائما بعينى ذلك الشيطان ترقبانى ، وتحصيان على الحركات والسكنات .. انه يكاد يعرف كل افكارى ويقرأ خواطرى التى لا اتحدث بها الى احد حتى ولا الى نفسى .. انى اشبه بالممثل الذى يعمل ويتكلم فى حدود الاطار الذى رسمه له المخرج .. انه يخطو هذه الخطوة ، وينطق بهذه الكلمة لان هناك ارادة عليا تحتم عليه أن يفعل ذلك ... هل تفهم ما اعنى ياوطسون ؟؟

ومن المحقق ان وطسون لم يفهم شيئا ، فقد كانت حرارته تتارجح بين الاربعين والحادية والاربعين . ولكن ذلك لم يكن يهم هولمز الذى استطرد قائلا :

ـ لقد كان يتعين على أن استعين بكل مواهبى واستنجد بكل شجاعتى لكيلا يتطرق اليأس الى نفسى .. ومن حسن الحظ ان هذه الدعابات الصغيرة اشبه بوخزات الدبوس .. لانها توقظنى من خمولى وتستثير همتى ، وكلما هدأت آلام الوخزات ، واندملت جراح كرامتى ، قلت لنفسى : دعه يعبث كما يشاء ، فسوف ينتهى به الامر الى أن يوقع بنفسه ..

والواقع ، الم تكن اولى دعابات لوبين ، او بمعنى آخر اولى برقياته ، هى التى اوحت الى هنريتا بأن تحدثنى و[...] الحروف المنزوعة ؟

الم يفضح نفسه بهذه الدعابة ويكشف لى عن الطر[يقة] السرية التى يتراسل بها مع اليس ديمون ؟

تلك حقيقة لا يجب أن تغيب عن بالك ايها الصد[يق] العزيز .

وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابا بخطى مسموعة ازعج[ت] وطسون واقلقت راحته .

واستطرد هولمز قائلا :

ـ ومهما يكن من امر فان الموقف ليس من السوء كما يتبادر الى ذهنك ايها الصديق .. صحيح انني اس[ير فى] مسالك مظلمة ، ولكنى بدات ابين مواقع قدمى . ال[...] ما يجب عمله هو معرفة حقيقة مسيو بريسون ، ودور[ه فى] المأساة ، وانا على موعد مع جانيمار على ضفة نهر السـ[ين] المكان الذى القى فيه بريسون الحزمة التى كان يتأبطها ، المحقق اننا سنميط اللثام عن سر هذا الرجل ... ثم تأتى ذلك المعركة بينى وبين اليس ديمون ... وغريمتى فى المعركة مخلوقة رقيقة يسهل تحطيمها ...

وثمة شيء آخر ينبغى ان اعرفه ... هو سر الرسـ[ائل] الرمزية التى تقتطع اليس ديمون حروفها وارقامها [من] الصحف والكتب ، انا واثق ياوطسون ان هذه الرسائل مفتاح اللغز كله ..

* * *

واقبلت اليس ديمون فى هذه اللحظة ، وما ان رات [...] يلوح بيده ويتحدث بصوت مرتفع حتى قالت له فى رفق

ـ انك تزعج مريضى ولن اغفر لك ذلك .. ! لا[...]

مستغرق فى النوم ، لقد اوصى له الطبيب بالراحة التامة والهدوء المطلق .

فحملق هولمز بعينيه دون ان ينطق بكلمة ، وقد ادهشه فى هذه المرة كما ادهشه فى المرة السابقة ، ما يبدو عليها من مظاهر الهدوء .

قالت له :

ـ لماذا تنظر الى هكذا يامستر هولمز ؟ لا شيء ؟ كلا .. بل يوجد شيء .. وربما اشياء .. ان نظراتك الى توحى بأنك تكتم امرا .. فما هو ؟ ارجوك ان تجيب ..

كانت تستجوبه وتسأله بكل جارحة من جوارحها .. بوجهها الصبوح وبعينيها الساحرتين ، وبفمها الباسم ، وبموقفها امامه ويداها معقودتان فوق صدرها البارز .

كان كل شيء فيها صريحا هادئا .. مما أثار هولمز واغضبه ...

اقترب منها فجأة وقال لها بصوت خافت :

ـ لقد انتحر بريسون أمس .

فرددت ، دون أن يبدو عليها انها فهمت :

ـ بريسون انتحر أمس ...

ولم تتحرك عضلة واحدة فى وجهها ، ولم يبد عليها انها تكذب ، أو تحاول ستر كذبها .

قال لها فى ضيق وغضب :

ـ لابد انك علمت بالأمر .. والا لارتجفت على الاقل .. يخيل الى انك اقوى كثيرا مما ظننت ، ولكن لماذا الخداع ؟

واخرج الكتيب من جيبه ، وفتحه عند الصفحة التى انتزعت بعض حروفها وارقامها وقال :

ـ هل يمكنك أن ترشدينى الى الطريقة التى ينبغى ان ترتب بها الحروف والارقام الناقصة من هذا الكتيب حتى

يمكن معرفة مضمون الرسالة التى بعثت بها الى بريسون
قبل سرقة المصباح الفضى باربعة ايام ؟

ـ الطريقة التى ينبغى ان ترتب بها الحروف ؟ بريسون ... المصباح الفضى ؟..

وقد نطقت بهذه الكلمات فى بطء كأنها تحاول ان تديم معناها .

ولم يرده انكارها الا اصرارا .. قال :

ـ نعم .. هاهى الحروف والارقام قد سجلتها على هذه الورقة ... فماذا اردت ان تقولى لبريسون ؟

ـ الحروف والارقام ... ماذا اردت ان اقول ...

وانفجرت ضاحكة بغتة وصاحت :

ـ آه .. فهمت .. اننى شريكة فى حادث السرقة .. يوجد شخص يدعى بريسون سرق المصباح الفضى ... انتحر .. وانا شريكة هذا الشخص وصديقته .. ها ... يالها من قصة مسلية !!

ـ اذن من ذا الذى ذهبت لزيارته ليلة امس بالطابق الثانى من منزل بشارع تيرن ؟

ـ من ؟ ذهبت لزيارة الانسة لانجيه التى تصنع ثيابى .. فهل الانسة لانجيه ومسيو بريسون شخص واحد ؟

وعلى الرغم من ذلك فقد ظل هولمز فى ريبة من امرها ، ان الانسان يستطيع ان يصطنع الذعر والسرور والقلق ولكنه لا يستطيع ان يصطنع قلة الاكتراث .. أو ان يطلق مثل هذه الضحكة المرحة .

قال لها :

ـ كلمة اخيرة ... لماذا حرصت على مقابلتى فى المحطة ولماذا توسلت الى ان اعود ادراجى فورا ولا اهتم بالقضية ؟

فاجابت وهى لا تزال تضحك ضحكتها المرحة الطبيعية :

ـ انك شديد الفضول يامستر هولمز ، وعقابا لك لن اذكر لك السبب ، واكثر من ذلك اننى سأتركك للعناية بصديقك المريض ريثما اذهب الى الصيدلية لشراء بعض العقاقير الضرورية التى امر بها الطبيب .. الى اللقاء يامستر هولمز .

وانصرفت ...

وقال هولمز لنفسه :

ـ لقد هزأت بى ... ولم يقتصر الامر على اننى لم استطع ان استخلص شيئا منها ... ولكنى كذلك قد كشفت اوراقى امامها ...

وراح يتساءل ... ترى هل قدر له مرة اخرى ان يجد نفسه امام احدى اولئك النساء اللائى دربهن لوبين على اصطناع الهدوء التام فى اشد المواقف حرجا .. وامام اهول الاخطار ؟

وفجأة ، سمع صوتا يناديه :

ـ هولمز ... هولمز ..

فاقترب من فراش وطسون وانحنى فوقه وسأله :

ـ ماذا بك ايها الصديق العزيز ؟ هل تتألم ؟

فاهتزت شفتا وطسون ... ولكنه لم ينطق بكلمة ...

وبعد جهد كبير استطاع ان يتمتم :

ـ كلا ياهولمز ... ليست هى ... لا يمكن ان تكون هى .

ـ ماذا تقول ؟ اؤكد لك انها هى ... انها شريكة لوبين ... فى ذلك شك ... فاننى لا افقد اتزانى والتصرف بمثل هذه الحماقة الا امام مخلوقة تدربت على يد لوبين .

ها هى قد عرفت قصة الحروف المنزوعة ... وأؤكد

لك انه لن تمضى ساعة حتى يكون لوبين قد علم بالأمر .. و...
قلت ساعة ؟؟ انه سيعلم بالأمر فورا ، وما حكاية الصيدل...
والدواء الا خدعة ...

* * *

وانطلق فى اثر الفتاة ، واجتاز شارع ميسينا ، ورأى ال... تدخل احدى الصيدليات ، ثم رآها تنصرف بعد بضع د... وبيدها زجاجات وقنانى محزومة فى ورقة .

وسارت الفتاة فى طريقها ، ولاحظ هولمز ان رجلا ... وقبعته فى يده كانه يطلب صدقة ..

وتوقفت الفتاة لحظة ، ووضعت قطعة من النقو... قبعة السائل ثم واصلت سيرها ..

قال هولمز لنفسه :

ـ انها تحدثت اليه .

قال ذلك عن وحى لا عن يقين ، ووقف مترددا لح... ثم قرر ان يترك الفتاة ويطارد السائل المزيف .

ووصل الرجلان ، السائل وهولمز الى ميدان ... فردينان ، وهناك تلكأ السائل طويلا امام بيت بريسون ... عينيه مرارا الى نوافذ الطابق الثانى ، وراقب بعناية ... دخل المنزل او غادره .

وبعد نحو ساعة ، وثب السائل الى الترام المتج... « نويلى » ، فتبعه هولمز . وجلس فى الترام وراءه ... رجل تحجب الصحيفة التى يقرأها وجهه ..

وما ان غادر الترام بوابة « تيرن » حتى طوى ال... الصحيفة ، فنظر هولمز الى وجهه وعرف فيه ... جانيمار .

وهمس جانيمار فى اذن هولمز وهو يشير نحو ال...

ـ هذا هو الرجل الذى رأيناه امس يتعقب بري...

قد تمضى ساعة امام منزل هذا الأخير .

فسأله هولمز :

ـ هل من جديد بشأن بريسون ؟

ـ لقد وردت اليه صباح اليوم رسالة تحمل اسمه وعنوانه .

ـ صباح اليوم ؟ اذن لابد ان يكون الراسل قد كتبها امس قبل أن يعلم بموته .

ـ تماما ... والرسالة الآن بين يدى المحقق .. ولكنى اذكر مضمونها ..

لقد جاء فيها :

« انه لم يقبل المفاوضة .. ويريد الاحتفاظ بكل شيء .. وخاصة الشيء الأول » .

واستطرد جانيمار قائلا :

ـ والرسالة بلا توقيع ، وهى كما ترى ، الفاظ لا تفيدنا شيئا .

فقال هولمز :

ـ انى اخالفك فى هذا الرأى يامسيو جانيمار ، وارى على العكس ان لهذه الرسالة اهمية كبرى .

ـ وكيف ؟؟

ـ ان لدى من الاسباب الخاصة ما يحملنى على هذا الاعتقاد .

وتوقف الترام عند نهاية الخط فى شارع « شاتو » ، غادره السائل وراح يمشى فى الطريق متمهلا ، وتبعه هولمز الى كثب ، فقال له جانيمار :

ـ انك لا تترك مسافة كافية بينك وبينه ، واذا نظر ال...اءه فسيراك .

ـ انه لن ينظر وراءه .

— وكيف علمت ؟
— انه احد اعوان لوبين ، ومتى سار احد اعوان [illegible] على هذا النحو ، ويده فى جيبه ، فمعنى ذلك انه يعلم ان [illegible] من يتعقبه ، ومعناه ايضا انه لا يخشى شيئا .
— ان ذلك لا يبرر اقترابنا منه الى هذا الحد .
— بل يجب ان نزداد اقترابا منه حتى لا يفلت من [illegible] فى اية لحظة .. انه شديد الثقة بنفسه .
— الا ترى بالمقهى اثنين من رجـال البوليس [illegible] الدراجات ؟ كيف يتسنى لصاحبنا الافلات اذا امرت [illegible] البوليس باعتقاله ؟
— يخيل الى ان هذا الشخص لا يخشى الاعتقال . [illegible] لعله يسعى اليه .
— يا الهى ... ما اقوى اعصابه !!
والواقع ، ان السائل اقترب من رجلى البوليس [illegible] يهمان بركوب دراجتيهما ، وقال لهما شيئا ، ثم تناول [illegible] ثالثة كانت مسندة الى جدار المقهى فركبها ، ولحق [illegible] البوليس .
وهنا لم يتمالك هولمز من الضحك .
قال :
— الم اكن على حـق .. لقـد لاذ الرجل بالفـ[illegible] وكيف ؟ بمساعدة اثنين من رجالك يامسيو جانيمار [illegible] لارسين لوبين اعوانا بين رجال البوليس ... الم اقل [illegible] الرجل واثق من نفسـه اكثر مما يجب ؟
فصاح جانيمار فى غضب :
— وما العمل الآن ؟
— دعنا نتعقبهم .. ولكننا بحاجة الى نجدة .
— ان فولنفان ينتظرنى فى نهاية شارع « نوبلى [illegible]

— حسنا .. اذهب اليه .. ثم الحقا بى .

* * *

وابتعد جانيمار ، وسار هولمز فى اثر الدراجات الثلاث . وكان طابعها واضحا فى ارض الشارع .
ولاحظ هولمز بعـد قليل ، أن الدراجات الثـلاث قد انحرفت نحو نهـر السين ، فى نفس الطريق الذى سلكه بريسون امس .
ووصل الانجليزى الى المكان الذى توارى فيه مع جانيمار فى اليوم السـابق حين هبط بريسون الى شـاطىء النهر ، ولاحظ هولمز من آثار الدراجات ان الرجال الثلاثة قد توقفوا فى ذلك المكان .
ونظر هولمز الى النهـر ، فرأى امامه لسـانا من الارض يمتد فى داخل النهر ، وعند نهايته قارب صيد قديم .
وكان الماء بالقرب من الشاطىء قليلا ...
لابد أن يكون بريسون قد القى الحزمة فى هذه البقعة ، فاذا بحث عنها هولمز فسوف يجـدها ، مالم يكن الرجال الثلاثة قد سبقوه اليها .
قال لنفسـه :
— كلا ... كلا ... انهم لم يجـدوا متسعا من الوقت للبحث والتنقيب ... ان ربع ساعة لا تكفى .
ولكن ترى اين ذهبوا ؟
ورأى صيادا يجلس فى القارب العتيق فسأله :
— هل رأيت ثلاثة رجال يركبون الدراجات ؟
فهز الصياد رأسه علامة النفى .
فقال هولمز باصرار :
— قلت لك ثلاثة رجال ... لقد توقفوا هنا على بعد ثلاث خطوات منك .

فتناول الصياد من جيبه مفكرة قطع منها ورقة كـ[illegible]
عليها شيئا وقدمها لهولمز .
ومرت بجسد هولمز رعدة شديدة حين تناول الور[illegible]
ورأى فيها الحروف والارقام التالية :
ا . ا . ا . ب . ج . ر . س . ف . ك . ل . و .
ى . ـ ٧٣٢ .

* * *

وكانت الشمس تسطع بشدة ، فارخى الصياد قبـ[illegible]
على رأسه ، واستأنف الصيد باهتمام شديد .
وساد صمت قصير مؤلم ...
قال هولمز :
ـ انه هو ... لا احد سواه يستطيع ان يجلس هـ[illegible]
هادىء الاعصاب غير عابىء بما يدور حوله .. ثم من سواه [illegible]
بأمر الحروف والارقام المنزوعة من الكتيب ؟ لابد أن [illegible]
اليس ديمون قد ارسلت اليه من يحذره وينذره بأنني [illegible]
امسكت بطرف الخيط .
وفجأة امتدت يد الانجليزى الى مسدسه ، وتعلـ[illegible]
عيناه بظهر الصياد ...
ان رصاصة واحدة ، تكفي لوضع حد للمأساة ، و[illegible]
حياة هذا المغامر الخطير .
ولم يأت الصياد بحركة ، ولم ينظر يمنة او يسرة ..
وتملكت هولمز رغبة شديدة فى ان يطلق من مسـ[illegible]
رصاصة تقضى على غريمه العتيد .. ولكنه احس فى [illegible]
نفسه بالاشمئزاز من هذا القدر الذى لا يتفق مع طـ[illegible]
وخلقه .
قال لنفسه :
ـ ليته فقط ينهض ليدافع عن نفسه ...

ولكنه سمع فى هذه اللحظة جلبة على الشاطىء ، فنظر
حوله ، ورأى جانيمار واعوانه مقبلين .
وهنا خطر له خاطر انقذه فى الحال . فوثب الى القارب
بسرعة واطبق على غريمه ، وتماسك الاثنان ، وتدحرجا فى
أرض القارب .
وصاح لوبين وهو مشتبك مع غريمه :
ـ وبعد ، فماذا ستكون النتيجة ؟ هب ان احدنا تغلب
على الآخر فماذا يفعل به ؟ سنظل هنا معا فى قاع القارب ،
وكل منا ينظر الى الآخر فى بلاهة ..
وكان المجدافان قد انزلقا وسقطا فى الماء ، وحمل التيار
القارب وقذف به الى وسط النهر ، وارتفعت من الشاطىء
صيحات الذعر والهلع .
واستطرد لوبين قائلا :
ـ ارأيت نتيجة طيشك ... كيف تقدم على مثل هذه
السخافات وانت فى هذه السن .
وتخلص من غريمه ، فنظر اليه هولمز فى سخط ، ومد
يده الى جيبه ليشهر مسدسه ، ولكنه لم يجد المسدس .
فقد سرقه لوبين حين اشتبك معه دون ان يشعر به .
وقذف التيار احد المجدافين على مقربة من القارب ، فمد
هولمز يده ليلتقطه فقال لوبين :
ـ وما الفائدة !! اذا التقطته فسوف امنعك من
استخدامه .
... أرأيت ؟ ان الحظ يخدم صديقه لوبين ... وها هو
القارب يبتعد عن الشاطىء ...
ثم صاح بغتة :
ـ حذار يا هولمز .
وانحنى رأسه بسرعة ، وحذا هولمز حذوه ... فقد اطلق

بعضهم رصاصة من الشاطئ مرت فوق راسيهما ..

قال لوبين :

ـ انه صديقنا جانيمار سامحه الله .

ثم صاح بأعلى صوته :

ـ هذا خطأ جسيم ياجانيمار .. القانون لا يسمح لك باطلاق الرصاص الا في حالة الدفاع عن النفس ... ان حنقك على لوبين الطيب قد انساك واجباتك ايها المسكين .. ها هو يعود الى اطلاق النار مرة اخرى .. حذار ايها الاحمق والا اصبت استاذنا العظيم .

قال ذلك واتخذ من هولمز درعا يتقي به رصاصات جانيمار وصاح بهذا الاخير :

ـ الآن .. في استطاعتك ان تطلق الرصاص كما تشاء ياجانيمار ... صوب الى القلب ... الى اليسار قليلا ... قبحك الله .. لقد اخطأت الهدف .. ان يدك ترتجف .. اليس كذلك ياجانيمار .. هل تريد ان تعيد الكرة أحسن .. صوب نحو القلب .. واحد .. اثنان .. ثلاثة .. اطلق النار .. ها انت قد اخطأت للمرة الثالثة .. لابد أن الحكومة تعطيك مسدسات من لعب الاطفال .

قال ذلك واخرج من جيبه مسدسا اطلقه دون تصويب فطارت القبعة عن راس جانيمار ..

صاح :

ـ ما قولك في هذا المسدس ياجانيمار ؟؟ انه جيد الصناعة ، ارفعوا قبعاتكم تحية لمسدس صديقي السير شرلوك هولمز ...

وقذف بالمسدس بكل قوته ، فسقط على الشاطئ تحت قدمي جانيمار .

* * *

ولم يتمالك هولمز من الابتسام اعجابا بهذا الشيطان الوديع ...

يا الهي ... من اين لهذا الرجل العجيب كل هذه الحيوية وهذا النشاط ؟

انه يجد متع الحياة كلها في مواجهة الاخطار .. واذا لم تأت الاخطار اليه ، راح يبحث عنها كما لو كانت الاخطار هي قوام حياته .

* * *

وازدحمت ضفتا النهر بالجماهير التي اثار فضولها هذا الصراع الممتع بين رجال البوليس ولوبين .. واخذ جانيمار ورجاله يتبعون القارب على الشاطئ ، وهم على يقين من ان اعتقال لوبين اصبح امرا مؤكدا ..

* * *

وتحول لوبين الى هولمز وقال له :

ـ اعترف يااستاذي بأنك لست على استعداد لأن تكون مكاني ، حتى ولو اعطوك كل ذهب الترنسفال ... هذا هو الفصل الاول من المسرحية ، ولكن الفصل الخامس سيأتي فورا ، وفيه يتقرر مصير لوبين ، فاما الهرب واما الاعتقال . ولذلك فانني انتهز هذه الفرصة لألقي عليك سؤالا ارجو ان تجيب عليه في صراحة بكلمة نعم ، او لا .

هل تنوي التخلي عن هذه القضية ام لا ؟ لا يزال في الوقت متسع لاصلاح ما افسدت .. اما اذا مضيت بالقضية اكثر من ذلك فسوف يتعذر انقاذ الموقف ..

فأجاب الانجليزي باقتضاب :

ـ كلا ...

فعض لوبين على شفته ..

كان من الواضح ان عناد هولمز قد ضايقه .

قال :

— انني اصر .. من اجلك اكثر مما هو من اجلي .. انا واثق من انك ستكون اول من يأسف على تدخلك في هذه القضية .. والآن ، للمرة الاخيرة .. نعم ام لا ..

— لا

فانحنى لوبين ، وازال لوحا من الخشب من قاع القارب وقضى بضع دقائق في عمل لم يدرك هولمز كنهه او مرماه .. ثم اعتدل في جلسته وقال يحدث هولمز :

— اعتقد ياأستاذي العزيز اننا قد جئنا الى الشاطيء لغرض واحد هو العثور على الحزمة التي ألقى بها بريسون في النهر ... أليس كذلك ؟ وكنت قد اتفقت مع بعض اعواني على الاجتماع هنا للبحث عن الحزمة . وقد جاءوا فعلا وانذروني بقدومك ، ولم يدهشني ذلك بطبيعة الحال ، لانني اعرف خطواتك في التحقيق اولا بأول ... ان كل ما يحدث في قصر شارع موريللو يبلغ الى فورا بالتليفون .

* * *

وكف عن الكلام ، وكان الماء قد بدأ يتسرب الى القارب من مكان اللوح الخشبي الذي انتزعه لوبين ، وبلل الماء اقدامهما ، فنظر لوبين الى غريمه من ركني عينه وقال :

— لا شك انك لست خائفا ..

فهز هولمز كتفيه ولم يجب .

ومضى لوبين في حديثه ، قال :

— قلت لك ان كل ما يحدث في قصر شارع موريللو يبلغ الى فورا بالتليفون ، وذلك يفسر لك اشياء كثيرة .. وبـ بصفة خاصة مسألة الرسالة التي بعثت بها اليك في لندن .. فقد كنت اعلم سلفا انك تنشد الدخول معي في نضال بقد ما انشد انا اجتناب هذا النضال ، ولذلك قررت ان اجتذبك الى هذه المعركة التي اعلم انني سأنتصر فيها لانني اسـ

بجميع الخيوط ، وحرصت على الاعلان عن هذه المعركة في اوسع نطاق ، حتى يتحدث الناس عن هزيمتك المنكرة فلا يلجأ اليك احد بعد ذلك لمعالجة قضاياه ، ولا يستعديك احد علي كما فعلت الكونتس دي كروزون في حادث الماسة الزرقاء وكما فعل البارون دمبلفال في حادث المصباح الفضي .. هل فهمت وجهة نظري يا استاذي العزيز ؟

قال ذلك ونظر طويلا الى الشاطيء وهتف :

— يا الهي ... لقد حصلوا على زورق ضخم كأنه بارجة حربية ... وهاهم يجدفون بقوة .. وسيصلون الينا قبل انقضاء خمس دقائق .. ومعنى هذا انني ضعت ...

اصغ الي يامستر هولمز ، لماذا لا تنقض علي وتشد وثاقي وتسلمني الى رجال العدالة قبل ان يصلوا الي ، ليكون لك وحدك شرف اعتقال أرسين لوبين ؟

يخيل الي انه لا نجاة لي من ايدي البوليس الا بغرق القارب ، وفي هذه الحالة يتعين على كل منا ان يبادر بكتابة وصيته ... فما رأيك في ذلك يامستر هولمز ؟

وتلاقت عيونهما .. وفهم هولمز لعبة غريمه ..

لقد ثقب لوبين قاع القارب ، وبدأ الماء يرتفع حتى غمر اقدامهما .

واخرج الانجليزي غليونه ، وراح يدخن في هدوء .

ومضى لوبين في حديثه ، قال :

— والآن يا استاذي العزيز ، الا ترى في حديثي هذا اعترافا بعجزي امامك ، وانني لا اختار من المعارك معك الا ما اكون واثقا فيه من النصر ؟

انني اشكر الظروف التي هيأت لي الاجتماع بك لاقول لك هذا الكلام ...

شيء واحد يحزنني .. هو انني اقول لك هذا الكلام واقدامنا في الماء مما يفقد كلامي بعض وقاره .

* * *

ووصل الماء في ارتفاعه الى حافة المقعد الذي يجلسان عليه ، وبدا القارب يغوص في الماء بالتدريج . ومع ذلك لم يبد على ايهما شيء من دلائل الانزعاج .. فقد راح هولمز ينظر الى السماء ويدخن في هدوء كان شيئا مما يجري حوله لا يهمه من قريب او من بعيد ..

والواقع ، انه لم يكن في الدنيا ما يمكن ان يحمل هذا الانجليزي على ابداء اى دليل على القلق او الاهتمام ، اما غريمه الذي يرى نفسه مهددا بالاخطار ، ورجال البوليس يحدقون به من كل ناحية ، والجماهير المحتشدة على ضفتي النهر تتوقع هلاكه او اعتقاله بين لحظة واخرى . ومع ذلك لم يفقد شيئا من مرحه ورباطة جأشه .

كان يخيل الناظر اليهما انهما يقولان بصوت واحد : وماذا يهم اذا غرقنا !! الا يبتلع النهر كل يوم عشرات من الناس !

واستمر احدهما في هذره ودعاباته ، واستمر الثاني يدخن في هدوء .. وكلاهما احرص على كبريائه من ان تبدر منه بادرة تنم عن الاهتمام او القلق .

ولم تبق الا لحظة واحدة ويغوص القارب في الماء ..

* * *

قال لوبين :

ـ المهم ان نعرف هل سنغرق قبل وصول رجال العد او بعد وصولهم .. لان غرقنا اصبح امرا مقطوعا به ، و يبق الا ان نكتب وصيتنا .. انا شخصيا ساوصي بكل ثر لصديقي شرلوك هولمز .. المواطن الانجليزي العظيم ..

ما هذا ؟ ان القوم يقتربون منا بسرعة مذهلة ..

انظر الى المجاذيف كيف تتحرك بقوة وانتظام .. برافو ايها الضابط فولنفان ، سوف ارشحك للحصول على وسام .. وصديقك "د يوزي" اين هو ؟ على الضفة اليسرى اليس كذلك ؟ ومعنى هذا انني اذا نجوت من الغرق ... التقطني ديوزي على الضفة اليسرى ، او جانيمار على الضفة اليمنى .. يالها من مشكلة !!

وفي هذه اللحظة اهتز القارب واخذ يدور حول نفسه ، وامسك هولمز بحافته وقال لوبين :

ـ اتوسل اليك ان تخلع ثيابك يا استاذي العزيز لكي تكون اقدر على السباحة .. كلا ؟ هل ترفض ؟ على رسلك اذن .. سأحذو حذوك ..

* * *

واخيرا خرج هولمز عن صمته ..

قال :

ـ انك تتكلم كثيرا يامسيو لوبين ، وغرورك المفرط وقعك في الزلل .

ـ هذا تأنيب صارم يا استاذي ..

ـ الواقع ، انك قدمت الى ـ دون ان تشعر ـ معلومات خطيرة كنت ابحث عنها ..

ـ ماذا تعني ؟ هل كنت تبحث عن معلومات دون ان تقول لي ؟ لماذا لم تطلبها مني .

ـ لست بحاجة الى احد ... الساعة الآن الثالثة ... في الساعة السادسة تماما ساقدم للبارون دمبلفال مفتاح السر ... هذا هو الجواب الوحيد الذي ...

ولم يتم عبارته ، فقد غرق بهما القارب فجأة وغاص تحت الماء ... وبعد لحظة ، طفا ثانية ولكنه كان مقلوبا .

وارتفعت صيحات الفزع على ضفتي النهر ، ثم ساد صمت رهيب .

وفجاة ، افلتت آهات الارتياح من افواه اولئك الذ
كانوا يشهدون المأساة ... فقد ظهر احد الرجلين
سطح الماء ...

كان الرجل الذي ظهر هو هولمز .. وكان يحسن الس
فشق طريقه بسهولة الى قارب فولنفان .. والقى فولنفان
بحبل ليمسك به ..

ولم يكد الانجليزي يمسك بالحبل حتى سمع ور
صوتا يقول :

ـ مفتاح السر ؟ من عجب انك لم تعرفه قبل الآ
يا استاذي .. ولكن ماذا ستفيد منه ؟؟ ان الفائدة الوح
التي ستجنيها هي الفشل .. والهزيمة ..

فنظر هولمز خلفه ، ورأى لوبين جالسا بارتياح على
القارب المقلوب كما يجلس الانسان على ظهر الجواد .

ومضى لوبين يقول بصوت مرتفع :

ـ هل فهمتني يا استاذي ؟ انك ستجد نفسك في مو
لا تحسد عليه .. موقف رجل ...

وهنا صاح فولنفان :

ـ سلم نفسك يالوبين .

فصاح لوبين :

ـ انك رجل قليل الذوق يافولنفان .. كيف تقطع
حديثي ؟ كنت اقول ان ..

ـ سلم نفسك يالوبين .

ـ اصغ الي يافولنفان .. ان الانسان لا يستسلم
احدق به الخطر .. ولا اظنك تزعم انني الآن في خطر

ـ انني ادعوك للمرة الاخيرة ان تسلم نفسك يالو

ـ لا شك انك لا تنوي قتلي ياعزيزي فولنفان ..
حريص على اعتقالي وانا على قيد الحياة ... او وانا

هي الاقل .. ولكن هب انك اصبتني اصابة قاتلة ؟؟ تذكر
ماسوف تشعر به من وخز الضمير في شيخوختك عندما ..

واطلق فولنفان الرصاص .

وترنح لوبين ، وسقط في الماء ...

* * *

وقعت هذه الحوادث في الساعة الثالثة ، وفي الساعة
السادسة تماما ، كان هولمز في قاعة الاستقبال الملحقة بمخدع
البارون كما وعد .

كان يرتدي سروالا قصيرا ، وقميصا ضيقا ، وقبعة
صغيرة ، استعارها جميعا من صاحب حانة في « نويلي » .

وكان قد ارسل احد الخدم لاخطار البارون وزوجته
بزيارته ، فلما لحقا به في قاعة الاستقبال ، وابصرا به مرتديا
تلك الثياب الغريبة ، بذلا جهدا كبيرا لكيلا يستغرقا في
الضحك .

وجداه يذرع الغرفة جيئة وذهابا ، من النافذة الى
الباب ، ومن الباب الى النافذة ، بخطى متساوية ، كأنه انسان
آلي يتحرك اوتوماتيكيا .

وتوقف هولمز عن السير لحظة ، وتناول احدى التحف ،
وفحصها بعينين شاردتين ثم اعادها الى موضعها واستأنف
السير .

واخيرا وقف امامهما وسأل :

ـ هل الآنسة هنا ؟

فاجاب البارون :

ـ انها في الحديقة مع الطفلتين .

ـ اصغ الي ياسيدي البارون .. ان اجتماعنا الآن
سيكون حاسما ، ولذلك اود ان تشترك فيه الآنسة الـ
يعون .

- هل انت على يقين من ...
- تذرع بالصبر يا سيدى ، وسوف تتبلج لك الحقيـ
من خلال الوقائع التى سأسردها فى جلاء ووضوح .
- على رسلك ...
ثم تحول الى زوجته واستطرد :
- سوزان !! هل لك فى استدعاء اليس ديمون !
فخرجت البارونة وعادت بعد قليل وبرفقتها ال
ديمون ...
وكانت الفتاة شاحبة الوجه خلافا للمألوف . وقد
واقفة ومستندة بيدها على احدى الموائد .. ولم تسأل
السبب فى دعوتها .
وبدا على هولمز كأنه لم يرها .
وتحول الانجليزى الى البارون وقال :
- بعد تحقيق استغرق بضعة ايام ورغم ان ال
الاحداث قد حملتنى على تغيير وجهة نظرى مؤقتا ،
يا سيدى أكرر لك ما قلته منذ اللحظة الاولى ، وه
المصباح الفضى قد سرق بواسطة شخص يقيم فى
القصر .
- ما اسمه يا سيدى ؟
- انني اعرفه .
- والأدلة ؟
- عندى من الادلة ما يكفى لادانته .
- ان الادانة لا تكفى .. بل يجب كذلك ان يعيد ال
نقاطعه هولمز :
- يعيد الينا المصباح الفضى ؟ انه معى .
- وعقد اللؤلؤ . .وعلبة التبغ المرصعة بالماس !

- عقد اللؤلؤ .. وعلبة التبغ . .وجميع التحف التى
سرقت فى المرة الثانية كلها معى .

* * *

كان هولمز شغوفا بالمفاجآت ، وقد اعتاد ان يعلن
انتصاراته بمثل هذه الطريقة الجافة .
وراح هولمز يسرد عليهما حوادث الايام الثلاثة الاخيرة .
حدثهما عن الكتيب والحروف والارقام المنزوعة ، وعن
مطاردته لبريسون ، وانتحار هذا المقامر ، وعن النضال الذى
دار بينه وبين لوبين ، وعن غرق القارب ، واختفاء لوبين .
ولما فرغ من حديثه قال البارون بصوت خافت :
- لم يبق الا أن تكشف لنا عن الفاعل فمن تتهم ؟
- انني اتهم الشخص الذى قطع الحروف من الكتيب
واتخذها اداة لمراسلة أرسين لوبين .
- وكيف علمت ان الشخص الذى كان المتهم يراسله هو
أرسين لوبين ؟
- علمت ذلك من لوبين نفسه .
واخرج من جيبه ورقة مهشمة ومبتلة بالماء هى الورقة
التى كتبها لوبين فى القارب ودفع بها الى هولمز .
قال الانجليزى وعلى وجهه دلائل الارتياح :
- يجب أن تلاحظ أن احدا لم يرغمه على كتابة هذه
الورقة التى كشفت لى عن شخصيته ، انه فعل ذلك بدافع
الغرور والاحساس بالتفوق . ولكنه تصرف صبيانى افادنى
كثيرا واضاء لى الطريق .
فقال البارون وهو يفحص الورقة :
- وكيف افادك ؟ انها نفس الحروف والارقام المنزوعة من
الكتيب ، كما ذكرتها لنا منذ لحظة .
- كلا .. انها ليست نفس الحروف .. انظر اليها
جيدا .

فقرأ البارون فى الورقة :
ا . ا . ا . ب . ج . ر . س . ف . ك . ن . و . ى
ـ ٧٣٢ .
قال :
ـ يخيل الى انها هى بعينها .
فقال هولمز :
ـ هذه الحروف تزيد خمسة عن الحروف التى اكتشفـ
انتزاعها من الكتيب والحروف الزائدة هى ـ ا . ر . س
ف . ن .
ـ الواقع اننى لم الاحظ ذلك .
فقال هولمز :
ـ كان الترتيب المعقول الوحيد للحروف والارقام الت
اكتشفت نقصها من الكتيب هو (اجب ـ ايكو ٧٣٢) وه
كلمات لا معنى لها .. ولكن اذا اعدنا ترتيب الحروف الخمـ
التى زادها لوبين واضفناها الى هذه الكلمات وجدنا هـ
العبارة : (اجب ـ ايكو فرانس ٧٣٢)
ـ وما معنى (ايكو فرانس) ؟
ـ معناها (ايكو د ى فرانس) وهو اسم جريدة ارسـ
لوبين التى ينشر بها مغامراته ورسـائله .. فيكون مـ
العبارة : (اجب فى جريدة ايكو دى فرانس فى قسم الاعلا
الصغيرة تحت رقم ٧٣٢) .
هذه العبارة هى مفتاح السر الذى كنت ابحث عنـ
بلا جدوى . فتطوع لوبين بتقديمه الى بظرفه المعهو
وقد عدت للتو من ادارة جريدة ايكو دى فرانس
ـ وماذا وجدت ؟
ـ وجدت قصة العلاقة بين ارسين لوبين و .. وشر
مفصلة بوضوح تام .

قال ذلك ووضع أمام البارون سبعة اعداد مختلفة من الجريدة فتحها جميعا عند الصفحة الرابعة ، حيث ينشر باب الإعلانات الصغيرة ، واشار الى سطر فى كل عدد من الاعداد السبعة .

والسطور السبعة هى :
١ ـ ارس . لوب ـ سيدة تطلب حمايتك ٥٤٠ .
٢ ـ ٥٤٠ ـ اننى انتظر التفصيلات ـ ٧٣٢
٣ ـ ٧٣٢ ـ اننى تحت رحمة العدو
٤ ـ ٥٤٠ ـ اكتبى العنوان ـ ساقوم بالتحقيق
٥ ـ ٧٣٢ ـ ١٨ شارع موريللو
٦ ـ ٥٤٠ ـ حديقة مونسو ، الساعة الثالثة ، زهره بنفسج

فصاح البارون :
ـ وهل تسمى ذلك قصة مفصلة واضحة ؟
ـ طبعا . لو انك قرات هذه السطور بعناية وتفكير ، لوضحت لك الحقيقة كما وضحت لى

فالقصة من البداية ، هى قصة سيدة اطلقت على نفسها رقم ٥٤٠ وقد طلبت هذه السيدة من لوبين (الذى اتخذ لنفسه رقم ٧٣٢) ان يحميها ، فرد عليها لوبين مطالبا بالإيضاح . واجابت السيدة بأنها تحت رحمة العدو ـ والعدو هنا هو برسون بغير شك .

ويبدو ان لوبين لم يطمئن فى البداية الى المغامرة مع هذه السيدة . فطلب اليها ان توافيه بعنوانها ليقوم بالتحقيق .

وبمراجعة تواريخ الجريدة ، نجد ان السيدة ترددت اربعة ايام قبل ان تذكر له عنوانها بشارع موريللو .

وفى اليوم التالى ، كتب لوبين الى السيدة يقول انه سينتظرها بحديقة مونسو فى الساعة الثالثة ، وطلب اليها ان

تضع على صدرها زهرة بنفسج كبيرة لكي يتعرف عليها .

وعلى اثر هذا اللقاء ، انقطعت المراسلات بين لوبين والسيدة ثمانية ايام ، ولابد انهما كانا يتقابلان خلال هذه الفترة او انهما كانا يتراسلان مباشرة بغير وساطة الجريدة .

وقد سفرت هذه المقابلات عن خطة اتفق الاثنان على تنفيذها ، وهى ان تسرق السيدة المصباح الفضى وتقدمه لبريسون ثمنا لسكوته .

وكانت السيدة تكتب الى لوبين بواسطة الحروف والارقام المنزوعة من الكتب والصحف حتى لا يفضحها خطها ، وبديهى انها طلبت اليه تحديد موعد لتنفيذ الخطة ، فلما تباطأ كتبت اليه بالحروف المنزوعة من الكتب تقول :

(٧٣٢ ـ اجب فى الايكو دى فرانس)

فأجاب فى الايكو دى فرانس بأن الموعد هو ليلة الاحد وانه سيكون بانتظارها فى حديقة مونسو لتوافيه بالمصباح .

وفى ليلة الاحد .. تمت السرقة .

فهتف البارون :

ـ الحق انها قصة محبوكة ، ومسلسلة تسلسلا منطقيا

قال هولمز :

ـ وبينما السيدة فى شغل بسرقة المصباح ، كان لوبين يصطنع الاثار الزائفة فى الحديقة والشرفة والنافذة لتضليل المحققين وايهامهم بأن اللص جاء من الخارج

وفى صباح يوم الاحد ، التقت السيدة بلوبين ، وا... بما فعلت ، ثم حملت المصباح الى بريسون .

وحدث ما توقعه لوبين ، فقد اقتنع المحققون بأن ال... جاء من الخارج ، واطمأنت السيدة وأمنت شر الافتضاح

فقال البارون :

ـ كل هذا معقول ، ولكن بم تفسر السرقة الثانية ؟

ـ السرقة الثانية كانت نتيجة للسرقة الاولى . فقد تحدثت الصحف عن اختفاء المصباح الفضى من بين عدد كبير من التحف الثمينة . فخطر لبعضهم ان يعيد الكرة ويحمل ما يستطيع حمله من التحف التى تركها اللص الاول .

وقد كانت السرقة الثانية سرقة حقيقية وليست مفتعلة كالسرقة الاولى . وكانت تحمل كل معانى السطو المسلح ..

ـ والسارق هو لوبين بطبيعة الحال .

ـ كلا .. ان لوبين لا يتصرف بمثل هذا الغباء ، ولوبين لا يطلق الرصاص جزافا .

ـ من يكون السارق اذن ؟

ـ انه بريسون بغير شك .. ولعله فعل ذلك بالاتفاق مع السيدة التى كان يبتز اموالها بطريق التهديد . والتى حملت اليه المصباح الفضى لشراء سكوته .

انه بريسون الذى اقتحم هذه الغرفة .. وهو الذى طعن صديقى المسكين وطسون حينما هم بالقبض عليه .

ـ هل انت واثق من ذلك ؟

ـ كل الثقة ، فقد كتب اليه احد شركائه امس قبل انتحاره رسالة تحدث فيها عن مفاوضات تجرى بينه وبين ارسين لوبين لرد جميع المسروقات بلا استثناء ، اعنى المصباح الفضى والتحف والمجوهرات التى سرقت فى المرة الثانية .

اضف الى ذلك ان لوبين كان يراقب بريسون ، وعندما ذهب هذا الاخير امس الى ضفة نهر السين تبعه احد اعوان لوبين كما كنا نحن نتبعه .

ـ وماذا فعل بريسون عند ضفة النهر ؟

ـ لابد انه علم اننى اسير بالتحقيق فى طريق النجاح ، وان....

فقاطعه البارون :

ـ وكيف علم ؟ ومن الذى انباه ؟

ـ نفس السيدة ذات الشأن ، لقد خشيت بحق ان

اكتشاف سر المصباح الفضى الى افتضاح مغامرتها . فحذر

بريسون الذى خشى ان يؤدى اكتشاف المسروقات التى ادا

فجمع غنائمه كلها وحزمها والقاها فى مكان من النهر ، حتى

زال الخطر ، عاد والتقطها ..

واكبر الظن ان لبريسون سوابق فى اجرام ، لانه ما

يعود الى بيته ويشعر باننى وجانيمار نتعقبه ونهم بالقب

عليه ، حتى جن جنونه ذعرا وهلعا ، فاطلق الرصاص

نفسه .

ـ ولكن ماذا كان فى الحزمة التى القاها فى النهر ؟

ـ المصباح الفضى والمسروقات الاخرى .

ـ اذن فهذه الاشياء ليست معك ؟

ـ ما ان اختفى لوبين فى النهر حتى انتهزت فرص

الحمام الاجبارى الذى اخذته لابحث فى المكان الذى اود

بريسون الحزمة وقد وجدتها .. وهاأنذا تراها على الم

واشار الى حزمة فوق احدى الموائد . فقطع البار

الخيط الذى يربط الحزمة ، وازال قطع الورق والقماش

واخرج المصباح الفضى ، وادار قطعة فيه ، وفصلها عن

المصباح ، وحينئذ ظهر المخبأ ، فافرغ البارون محتوياته

الزمرد واللآلىء فوق المنضدة ..

كان الكنز كاملا .. لم تمسسه يد .

* * *

الفصل السادس

كان الاجتماع على بساطته ووضوحه ، واقتصار

سرد وقائع ثابتة يدعمها الدليل والمنطق ، مشحون ب

احتمالات خطيرة مؤلمة ، اثارها الاتهام المباشر الصريح الذى وجهه هولمز فى كل عبارة من عباراته الى الآنسة آليس ديمون .

ومما زاد حرج الموقف ودقته ذلك الصمت المطلق الذى التزمته الفتاة طول الوقت .

وبينما كان هولمز يسرد الوقائع ، ويسوق الادلة ، لم تتحرك عضلة واحدة فى وجه الفتاة ، ولم يبد على ملامحها شىء من دلائل الاستنكار او الخوف .. كانت اشبه بتمثال من الرخام لا يتأثر بالعاصفة التى تدور حوله ..

فبم كانت تفكر ؟

وماذا ستقول حين يطلب اليها ان تتكلم ؟ وكيف ستحطم الحلقة الفولاذية التى احاطها بها هولمز بمهارة ولباقة ؟

وجاءت اللحظة الحاسمة .. ولكن الفتاة لزمت الصمت .

صاح بها البارون :

ـ تكلمى .. دافعى عن نفسك .. قولى كلمة واحدة واصدقك .

ولكنها لم تنطق بهذه الكلمة

واخذ البارون يسير فى الغرفة جيئة وذهابا . ويلح على الفتاة ان تتكلم .. ولكن دون جدوى .

واخيرا التفت الى هولمز وقال :

ـ الحق اننى لا استطيع ان اصدق .. توجد جرائم مستحيلة ، وهذه احداها ، لانها تتنافى مع كل ما عرفته عن اخلاقها وسلوكها طيلة عام كامل .

ثم القى بيده على كتف هولمز واستطرد :

ـ ولكن هل انت واثق تماما من انك لم تخطىء ياسيدى ؟

فتردد هولمز لحظة ، كشخص هوجم فجأة قبل ان يتاهب للدفاع ولكنه عاد فابتسم واجاب :

ـ ان الشخص الذى اتهمه ، هو الوحيد الذى كان فى

استطاعته بحكم مركزه ان يعرف ان المصباح الفضي يحتوي
على هذه المجوهرات النادرة .

تغمغم البارون قائلا :

ـ لا استطيع ان اصدق .. لا استطيع .

ـ سلها اذن .

وكان استجواب الفتاة هو الشيء الوحيد الذي لم يفكر فيه البارون من فرط ثقته بها .. ومع ذلك فقد كان من المستحيل تجاهل كل هذه الادلة الدامغة .

واقترب البارون من الفتاة وسألها وهو ينظر في عينيها الواسعتين الصريحتين :

ـ هل انت التي فعلت ذلك يا آنسة ؟ هل انت التي اخذت المصباح ؟ هل انت التي اتصلت بارسين لوبين ودبرت معه موضوع السرقة ؟

فأجابت :

ـ نعم يا سيدي .

ولم تطأطيء الراس ، ولم يبد عليها خجل او ارتباك .

فصاح البارون :

ـ هل يمكن ذلك ؟ انني لا اصدق .. لقد كنت آخر من ارتاب فيه .. فكيف حدث ذلك ايتها التعسة ؟

فأجابت :

ـ لقد فعلت ما ذكره مستر هولمز .. وفي ليلة الاحـ[د] تسللت الى هذه الغرفة .. واخذت المصباح .. وفي الصـ[باح] ذهبت به الى ذلك الرجل .

ـ ولكن هذا مستحيل ، وغير معقول .

ـ لماذا ؟

ـ لان باب هذه الغرفة كان موصدا من الداخل ، و[قد] تحققت من ذلك بنفسي في الصباح

فاحمر وجهها ، واضطربت ، ونظرت الى هولمز كانما تستنجد به .

ودهش هولمز لارتباك الفتاة ، وراح يسأل نفسه ، لماذا تجيب ؟ ترى هل الاعتراف الذي افضت به ينطوي على اكذوبة تهدم جميع الادلة التي ساقها ؟

واستطرد البارون قائلا :

ـ هذا الباب كان مغلقا ، واقسم انني وجدته في الصباح كما تركته في المساء ، فاذا كنت قد دخلت من هذا الباب كما تزعمين ، فلابد أن يكون هناك من فتحة لك من الداخل ، لابد ان يكون هناك من نفذ من المخدع الى هذه الغرفة وفتح لك الباب .. ولم يكن بالمخدع في تلك الليلة سواي انا وزوجتي .

* * *

وهنا اطرق هولمز براسه ، ووضع يديه على وجهه ليخفي احمراره .

لقد تبلج له فجأة ضوء قوي يبهر عينيه .. وتركه جامدا مذهولا .

لقد تكشفت له الحقيقة بكل روعتها فجأة وكشف الضوء الساطع عما يخفيه الظلام .

ان آليس ديمون بريئة ..

آليس ديمون بريئة ..

تلك حقيقة مؤكدة ، يدعمها ذلك الشعور بالقلق الذي كان يحس به في قرارة نفسه منذ اول يوم وجه فيه هذا الاتهام الخطير الى الفتاة ..

انه يرى الآن بوضوح .. وحركة واحدة بسيطة سوف تقدم له الدليل الذي لا يدحض ..

ورفع راسه بهدوء ، وبطريقة طبيعية ، ونظر الى البرونة ..

كان وجهها ممتقعا ، ويعلوه ذلك الشحوب الذى يكـ
وجه الانسان فى احرج ساعات حياته ..
وكانت تحاول ان تخفى يديها المرتجفتين ..
قال هولمز لنفسه :
ـ لحظة اخرى وتنهار تماما ..
ووقف بين البارونة وزوجها ، فى محاولة يائسة لتجـ
هذين الزوجين الخطر الماحق الذى يهدد سعادتهما بـ
ولكنه ما كاد ينظر الى البارون ، حتى مرت بجسده رعـ
شديدة .. فقد تكشفت للبارون فجاة ، نفس الحقيقة الـ
تكشفت له ، وراى نفس الضوء الذى بهره .
لقد فهم الزوج كل شىء ..

* * *

وارادت آليس ديمون ـ فى محاولة يائسة ـ ان تقف
وجه الحقيقة الهائلة التى تبلجت للجميع .
قالت تحدث البارون :
ـ الحق معك يا سيدى .. انى اخطات .. والواقع ا
لم ادخل من الباب ، وانما دخلت من الحديقة عن طر
الشرفة .. بواسطة سلم ..
كانت محاولة يائسة املاها الاخلاص والوفاء ، ولكـ
محاولة فاشلة ..
وكانت نبرات صوتها تنبىء بكذبها ، فاطرقت براسـ
ولزمت الصمت .

* * *

وساد سكون مخيف ، ووقفت البارونة فى انتظار مصـ
المحتوم ، كما تقف المحكوم عليه بين يدى الجلاد .
وظهرت على وجه البارون آثار الزوبعة التى تعصف
جمجمته ..

لم يشا ان يصدق ان سعادته العائلية قد انهارت على
هذا النحو ، وبمثل هذه السرعة ..
واخيرا صاح بزوجته :
ـ تكلمى .. اوضحى ..
فاجابت بصوت خافت ، والالم يكسو وجهها :
ـ ليس عندى ما اقوله يا صديقى المسكين ..
ـ اذن فالآنسة ..
ـ الآنسة حاولت ان تنقذنى .. بدافع العطف والوفاء ،
انها القت نفسها ..
ـ تنقذك مم ؟ وممن ؟
ـ من ذلك الرجل .
ـ برنسون ؟
ـ نعم .. كان يهددنى .. لقد قابلته فى بيت احـدى
صديقاتى ، وكنت من الحماقة بحيث صدقت كلامه المعسول .
والحق انه لم يكن بينى وبينه ما اخجل من ذكره .. لقد
كتبت اليه رسالتين .. رسالتين ساطلعك عليهما .. فقد
اشتريتهما منه .. وانت تعرف كيف اشتريتهما .. أواه ..
رحمة بى .. فقد تالمت كثيرا .
ـ انت .. انت يا سوزان !!
ورفع قبضة يده ، وهم بان يهوى بها على راسـها ..
هم بان يقتلها .. ولكنه عاد فامسك ، وسقط ساعده بجواره ،
وتمتم مرة اخرى :
ـ انت .. انت يا سوزان !! هل يمكن هذا ؟
وفى عبارات مبتورة ، وصوت حزين ، راحت البارونة
تسرد قصتها مع ذلك الرجل السافل ، وتصف عذابها وآلامها
ووخز ضميرها ، وتحدثت عن آليس ديمون واخلاصها ،
وكيف ان الفتاة احست بياسها فاستدرجتها فى الحديث حتى

عرفت منها الحقيقة ثم كيف تطوعت آليس دمسون بالكتابة الى ارسين لوبين ، وكيف انتهى الراى الى شراء سكوت بريسون بالمصباح الفضى ، على ان يسترد لوبين المصباح فيما بعد ، ويعيده الى مكانه .

فردد البارون ، وقد اثقلت الكارثة كاهله :

ـ انت يا سوزان .. انت !! كيف وجدت الجراة ..

* * *

الفصل السابع

فى مساء ذلك اليوم ، كانت الباخرة (لندن سيتى) تشق طريقها من (كاليه) الى (دوفر) فى بحر هادىء مظلم .. وكان اكثر المسافرين قد اووا الى مخادعهم او الى صالون الباخرة .. بينما راح القليلون يذرعون سطح الباخرة ، او يعالجون النوم فى مقاعدهم تحت قبة السماء ، ولم يكن يرى وسط الظلام سوى وهج لفافات التبغ هنا وهناك ..

وسار احد المسافرين على ظهر السفينة بخطى منتظمة ، وتوقف امام فتاة تمددت على احد المقاعد ، وانتظر قليلا حتى رآها تتحرك فقال لها :

ـ ظننتك نائمة يا آنسة آليس

ـ كلا يا مستر هولمز .. فليست بى رغبة الى النوم .. لقد كنت افكر ..

ـ هل اكون متطفلا اذا سالتك فيم تفكرين ؟

ـ كنت افكر فى البارونة دمبلفان .. لابد انها الآن حزينة فقد انتهت حياتها .

فاجابها هولمز بحدة :

ـ لا اظن ذلك .. ان خطيئتها ليست مما لا يمكن اغتفاره .. وسوف يغفر لها البارون هفوتها .. لقد لاحظت تعا

ولاحظنا ان نظراته اليها كانت اقل صرامة .

ـ ربما .. ولكن النسيان يتطلب وقتا طويلا .. وسوف تتألم البارونة وتشقى

ـ هل تحبينها كثيرا ؟

ـ اكثر مما تصور .. ومن هذا الحب كنت استمد القوة لابتسام وانا ارتجف هلعا والنظر فى وجهك حين كان ينبغى ان اشيح بوجهى .

ـ وهل انت حزينة لفراقها ؟ .

ـ حزينة الى اقصى حد .. ليس لى اب او ام و صديق . لم يكن لى سواها .

ـ سوف تجدين فى لندن كثيرا من الاصدقاء .. ان لى معارف كثيرين فى ارقى الاوساط ، وسوف ترضين عن العمل الذى سالحقك به .

ـ ربما .. ولكن البارونة لن تكون حيث اعمل ..

* * *

وساد بينهما صمت عميق ، وبددت الريح السحب المظلمة التى كانت تحجب وجه القمر ، فاخرج هولمز غليونه ، وحاول ان يشعله ، ولكن الريح اطفات اعواد الثقاب الاربعة التى كانت معه ، فتحول الى مسافر يجلس على مقعد قريب وساله :

ـ هل احد معك عود ثقاب ؟

فاخرج المسافر من جيبه (ولاعة) اشعلها وعلى ضوئها ، راى هولمز وجه ارسين لوبين ..

ولولا ان الانجليزى اجفل قليلا لظن لوبين انه كان يعلم بوجوده على ظهر السفينة ..

كانت تلك الاجفالة غير الملحوظة ، هى كل ما بدر من هولمز ، وفيما عدا ذلك فقد ظل البوليس السرى الانجليزى

محتفظا بهدوئه وبروده ..

قال وهو يمد يده الى غريمه :

ـ الا زلت فى صحة جيدة يا مسيو لوبين ؟

فهتف لوبين وقد اعجبه هدوء الانجليزى وسيطرته على اعصابه :

ـ برافو

ـ برافو ؟ ولماذا ؟

ـ اتسألنى لماذا وانت ترانى اظهر امامك كالشبح بعد ان شهدت غرقى فى نهر السين . .فلا يبدو عليك شيء من دلائل الدهشة أو العجب ..

حقا ان البرود الانجليزى خليق بالاعجاب

ـ ليس ثمة ما يدعو الى الدهشة .. فان طريقة سقوطك من القارب دلتنى على انك اسقطت نفسك وعلى ان الرصاصة لم تصبك .

ـ وهل طاوعك قلبك على الرحيل قبل ان تعرف مصيرى ؟

ـ اما مصيرك فقد كنت اعرفه .. كان هناك نحو خمسمائة شخص على ضفتى النهر فى مدى كيلو متر واحد ، فاذا نجوت من الموت فلابد ان تعتقل

ـ ومع ذلك هانذا ..

ـ اصغ الى يامسيو لوبين ، يوجد فى هذه الدنيا شخصان لا يدهشهما شيء .. انا اولا .. ثم انت .

* * *

وهكذا ساد الوئام بين الرجلين .

واذا كان هولمز قد عجز عن اعتقال لوبين ، فانه على الاقل قد استطاع استرداد المصباح الفضى .. على ان انتصاره فقد الكثير من روعته ـ فى نظر الجمهور ـ بسبب اضطراره الى

اخفاء الظروف التى مكنته من استرداد المصباح . واضطراره بالتالى الى كتمان اسم الجانى ..

ذلك من وجهة النظر العامة

اما فيما بين هولمز ولوبين ، بين رجل البوليس واللص ، فلم يكن هناك غالب أو مغلوب ..

كان لكل منهما نصيبه من النصر .

وقص لوبين على هولمز قصة فراره فقال :

ـ كان الامر غاية فى البساطة . .بعد ان قضيت نحو نصف ساعة تحت القارب المقلوب ، انتهزت فرصة انطلاق فولنفان ورجاله للبحث عن جثتى على طول الشاطىء وصعدت الى ظهر القارب ..

وكنت على موعد مع رجالى للبحث عن المصباح الفضى فى النهر ، فمروا بزورقهم البخارى والتقطونى .. وانطلقوا امام خمسمائة شخص ، وتحت انظار جانيمار وفولنفان.

فصاح هولمز :

ـ هذا بديع حقا .. والآن .. هل لك عمل فى انجلترا ؟

ـ نعم .. لى حساب اريد تصفيته .. ولكن ماذا فعل البارون ؟

ـ لقد علم بكل شيء ..

ـ الم اقل لك ذلك منذ البداية يا استاذى العزيز ؟ ان الضرر الذى حدث لا يمكن اصلاحه .. اما كان يجدر بك ان تدعنى أعالج الموقف بالطريقة التى اراها ؟ لو انك تأخرت يوما أو يومين لاستردت المصباح الفضى والمسروقات الاخرى واعدتها الى البارون ، ولعاش الزوجان فى سعادة بقية حياتهما .. اما الآن ..

فضحك هولمز وقال :

ـ اما الآن فانني بذرت بذور الخلاف والشقاء فى اسرة

تظلها بحمايتك ..

ـ يا الهى !! ولم لا اظلها بحمايتى ؟ هل يجب ان يقتصر نشاطى على السرقة والاذى ؟

ـ هل افهم من ذلك انك تفعل الخير فى بعض الاحيان ؟

ـ اننى افعل الخير كلما وجدت الى فعله سبيلا ، ولعل من اعجب الامور فى هذا الحادث الذى نحن بصدده ، انى قمت فيه بدور ملاك الخير الذى يصنع المعروف ويحصل النجدة والغوث .. بينما قمت انت بدور ملاك الشر الذى يجلب اليأس والشقاء والدموع .

ـ الدموع ؟

ـ نعم .. لقد قوضت سعادة اسرة دمبلفال وابكيت آليس ديمون .

ـ كان من المستحيل على الآنسة آليس ديمون ان تبقى ، ولو انها بقيت لاكتشف جانيمار الحقيقة ولافتضحت البارونة .

ـ كل هذا صحيح .. ولكن من المخطئ ؟

* * *

ومر بهما فى هذه اللحظة رجلان ، فقال هولمز فى جفاء :

ـ هل تعرف هذين الرجلين ؟

ـ ان احدهما فيما اعتقد هو قبطان الباخرة .

ـ والآخر ؟

ـ لا اعرفه .

ـ انه مستر اوستن جيلبت ، الذى يشغل فى انجلترا مثل منصب مسيو ديدوى مدير الامن العام فى فرنسا .

ـ يالها من مصادفة سعيدة !! هل لك فى ان تقدمنى الى مستر جيلبت ؟ ان مسيو ديدوى من اعز اصدقائى .. وسوف يسعدنى ان اقول مثل ذلك عن مستر جيلبت

فنهض هولمز وهو يقول :

ـ واذا اخذتك بكلمتك يا مسيو لوبين ؟

وقبض على ساعد لوبين بيد من حديد فصاح لوبين :

ـ ولماذا تمسك بى بهذه الشدة ؟ اننى على استعداد لان اتبعك .

وسار معه دون أن يبدى اية مقاومة ، ولكن هولمز لم يفلت ساعده .

وكان الرجلان قد ابتعدا ، فأوسع هولمز الخطى وصاح لوبين :

ـ اسرع .. اسرع

ولكنه لم يلبث أن توقف فجأة ، فقد راى آليس ديمون تسير معهما ..

قال لها :

ـ ماذا تفعلين يا آنسة ؟ عودى الى مكانك وسوف الحق بك .

فاجابه لوبين :

ـ يجب أن تلاحظ يا استاذى العزيز انها لا ترافقنا طواعية واختيارا .. اننى ممسك بها بنفس الشدة التى تمسكنى بها ..

ـ ولماذا ؟

ـ لماذا ؟ لاننى اصر على تقديمها الى مستر جيلبت على .. ان دورها فى حادث المصباح الفضى اهم من دورى . لقد كانت شريكة لوبين وشريكة بريسون ، وسوف يتعين عليها كذلك ان تسرد قصة البارونة .. وهى قصة تهم العدالة .. وبذلك يكون تدخلك قد اعطى كل ثمراته الطيبة ايها الرجل الكريم ..

فترك هولمز ساعد لوبين ، وترك لوبين ساعد الفتاة ..

وقف ثلاثتهم لحظة لا يبدون حراكا .. ثم عاد هولمز الى مقعده ، وتبعه لوبين والفتاة .

وساد بينهم صمت عميق ، قطعه لوبين اخيرا بقوله :

ـ ارأيت يا استاذى العزيز اننا مهما صنعنا فلن نقف فى صعيد واحد .. ان بيننا هوة عميقة .. فى استطاعتنا ان نتصافح وان نتحدث لحظة .. ولكن الهوة تفصل بيننا دائما .. وستظل انت شرلوك هولمز البوليس السرى ، والا ارسين لوبين اللص .

سيظل شرلوك هولمز يعمل بغريزة البوليس السرى ، فينقض على اللص حالما يراه ، وسيظل ارسين لوبين امينا مع نفسه كلص ، تدفعه الغريزة الى تجنب البوليس السرى والى الهزؤ به ما استطاع الى ذلك سبيلا .. وما حديثنا الآن يدخل فى باب (ما استطاع الى ذلك سبيلا) .

وانفجر ضاحكا ضحكة قاسية .. ثم امسك فجأة والتفت نحو الفتاة وقال يحدثها :

ـ ثقى يا آنسة باننى ما كنت لاشى بك مهما كانت الظروف ومهما نزل بى من محن ، ان ارسين لوبين لا يخون احدا وخاصة اولئك الذين يحبهم ويعجب بهم .. واسمحى لى بان اقول لك اننى احب شخصك العزيز واعجب بشجاعتك ووفائك .

قال ذلك واخرج من جيبه بطاقة مزقها نصفين ، قدم احدهما الى الفتاة واستطرد قائلا بصوت ينم عن الاحترام :

ـ اذا فشل مستر هولمز فى محاولاته وعجز عن ان يجد لك عملا ، فاذهبى الى الليدى ستروانجبورو (ومن السهل عليك معرفة عنوانها) و قدمى لها نصف البطاقة وقولى لها هاتين الكلمتين (هدية اخلاص) فتصبح لك اكرم من اخت

الحزم ام .

فقالت الفتاة :

ـ شكرا لك ، ساذهب غدا الى هذه السيدة .

وهنا صاح لوبين بارتياح من ادى واجبا :

ـ والآن يا استاذى العزيز .. ارجو لك ليلة سعيدة ونوما هنيئا .. لا تزال امامنا ساعة قبل الوصول الى الشاطىء الانجليزى .. وساحاول الافادة من هذه الساعة .

قال ذلك ومدد ساقيه ، وعقد يديه خلف راسه ، واستغرق فى النوم .

* * *

القسم الثانى

مجوهرات الدوق نورفولك

سأل روجر صاحبه لوبين :

ـ هل انت واثق من انك اكتشفت الرموز السرية التى تتعامل بها ادارة البنك مع فروعه ؟

فابتسم لوبين واجاب :

ـ كن مطمئنا يا عزيزى روجر .. فاننى اوصلت تليفونى بالبنك الرئيسى واستطعت الوقوف على جميع المخابرات التليفونية التى دارت بين البنك وفروعه خلال الاسبوعين الاخيرين .. ان بنك (جنوب لندن) هو البنك الذى يلجأ الى التخاطب مع فروعه بالرموز تفاديا لكل تلاعب فى المخابرات يؤدى الى ضياع اموال المودعين .

ـ وماذا فى نيتك ان تفعل الآن ؟!

ـ اننى بعثت الى جميع فروع البنك الثلاثة عشر خطابات مختلفة بان يدفع كل فرع منها الى المدعو صموئيل راتوسل مبلغ مائة جنيه وقد استخدمت فى هذه الرسائل اوراقا عليها

اسم البنك .. وزورت عليها توقيع مستر (هارلدن) مدير البنك الرئيسى .

ــ الا يحتمل أن ترتاب بعض فروع البنـــك فى خطاب الاعتماد ؟

ــ لا اظن ذلك .. فقد اتخذت جميع الاجراءات اللازمة لكى تبدو هذه الخطابات حقيقة لا لبس فيها ولا غموض .

وارتدى لوبين معطفه المصنوع من الفرو الثمين . وهم بالانصراف فقال له روجر :

ــ الا تصحبنى معك ؟

ففكر لوبين لحظة ثم اجاب :

ــ انى سانطلق بالسيارة . فاذا شئت ..

ــ انا على استعداد لقيادة السيارة .

واسرع روجر فارتدى معطفه بدوره . ووضع على رأسه قبعة منخفضة كقبعات سائقى السيارات . وخرج الاثنان ..

فسأل روجر صاحبه بلهجة تناسب المقام :

ــ الى أين أذهب بك يا سيدى ؟

فاجاب لوبين :

ــ الى فرع بنك (جنوب لندن) فى (فوكسهول)

وما هى الا دقائق معدودات حتى وقفت السيارة بباب البنك وهبط منها لوبين وقصد لتوه الى موظف الخزانة . وقال له :

ــ انى ادعى صموئيل راتويل ..

تصعده الموظف بعينيه . ثم قدم اليه دفترا فكتب به لوبين اسم « هارى رولف صموئيل راتويل » ثم وقع تحت هذا الاسم بامضاء معقدة لا يعرف لها اول من آخر ..

وقارن الموظف بين هذه الامضاء .. والامضاء المسجلة بخطاب الاعتماد .. واطمأن الى التشابه التام بينهما .. ثم سأل لوبين :

ــ كم تطلب يا سيدى ؟!

فاجاب لوبين بقلة اكتراث :

ــ الفا من الجنيهات كما هو مذكور فى خطاب الاعتماد .

فنقده الموظف المبلغ دون أن ينطق بكلمـــة .. وشكره لوبين وانصرف ..

وابتسم روجر حين رأى صاحبه يخرج من البنك وهو هادىء ثابت الخطوات ..

قال له لوبين :

ــ والآن .. هلم بنا الى فرع البنك (كلابهام) ..

وقد حدث فى الفـــرع الثانى ما حدث فى الفـــرع الاول . يحصل لوبين على الف من الجنيهات دون أن يلقى أية صعوبة وقصدا بعدئذ الى فرع البنك فى (بلهام) و (استريتهام) .

ولما دخل لوبين الفرع العاشر .. أخـــذ روجر يحصى ارباح اليوم فوجد انها بلغت تسعة آلاف من الجنيهات ..

قال لنفســـه :

ــ الحق ان هذا مبلغ لا بأس به .

وفجأة احـــس بيد ثقيلة تلقى على كتفه .. فنظر حوله .. ورأى رجلا فى ثياب البوليس لم يشك لحظة فى انه احـــد مفتشى الشرطة .

وذعر روجر .. واسقط فى يده .. ولكنه بذل قصـــارى جهده حتى لا يتخاذل ..

سأله مفتش البوليـــس :

ــ هل تعرف من انا ؟!

فاجابه روجر :

ــ لم اتشرف قبلا بمعرفتك ..

ــ انى « ماكنزى » مفتش بوليس سكوتلانديارد . .

ــ يؤسفنى انى لم اسمع باسمك قبلا .

فعض مفتش البوليس على شفتيه وسأل :

ــ هل تستطيع ان تنبئني لمن هذه السيارة ؟ !

ففكر روجر لحظة .. ثم أجاب :

ــ انها سيارة سيدي ..

ــ آه .. ومن هو سيدك ؟

ــ انه صاحب هذه السيارة يا سيدي المفتش ..

فابتسم مفتش البوليس وقال :

ــ يخيل الي انك شاب خفيف الروح .. ولكن لنتحدث في الموضوع .. لقد اتصلت سبعة فروع من فروع بنك « جنوب لندن » بادارة البنك .. وطلب كل فرع منها الى ادارة البنك ان تخصم لحسابه مبلغ الف جنيه دفعت لشخص معين .

وبرجوع البنك الى دفاتره . ثبت له انه لا يوجد بين مودعيه اسم ذلك الشخص . . فاخطرني بذلك .. ولما كنت اعلم انه لا يوجد من يقدم على مثل هذا العمل الجرىء غير لوبين ..

فهتف روجر متصنعا الدهشة :

ــ لوبين ؟ ومن هو لوبين هذا ؟

فهز ماكنزي كتفيه وقال :

ــ هو شخصية معروفة في عالم الاجرام .. شخصية لم يعرفها الجمهور الانجليزي بعد . ولكن لها في ادارة البوليس « ملفا » حافلا بجليل الاعمال .

ــ لوبين ؟ ! اسم ظريف . ولكني اؤكد لك ان سيدي يدعى راتويل ، لا لوبين .

وكان مفتش البوليس يعرف ان راتويل هو اسم الرجل الذي استولى على المال من البنوك ، وقد ادرك سائق السيارة لا يريد غير اضاعة الوقت ليمكن راتويل من الفرار ،

فاوما الى اثنين من رجال الشرطة واصدر اليهما امرا فنزعا روجر من مكانه ودخلا به منزلا مجاورا .

ولحق بهم ماكنزي وقد تفتق ذهنه عن حيلة فذة لاعتقال لوبين باسرع ما يمكن فنزع عن روجر معطفه وقبعته . وارتداهما ثم عاد الى السيارة وجلس في مقعد السائق .

وما هي الا لحظة حتى فتح باب البنك وخرج منه لوبين وقصد توا الى السيارة وأمر السائق دون ان ينظر الى وجهه :

ــ والآن . هلم بنا الى فرع البنك في (كاتفورد)

فاوما ماكنزي براسه علامة الطاعة واجاب وهو يضحك في سره .

ــ حسنا .

وانطلق بالسيارة وهو واثق من النصر العاجل .

وغاب عنه انه ارتكب غلطة فاحشة حين نطق بكلمة (حسنا) فقد حملق لوبين الى مؤخر راسه بحدة حين سمع هذه الكلمة . ثم مرت على شفتيه ابتسامة ذات معنى .

* * *

وانطلق ماكنزي بالسيارة كالسهم غير عابىء بلوائح المرور وصيحات رجال البوليس فقتل في طريقه جوادا ، وقلب احدى مركبات النقل ، ولكنه لم يتوقف لحظة واحدة ، لعلمه ان الوقوف معناه فرار العصفور من القفص .

وانتهى ماكنزي بالسيارة الى باب سكوتلنديارد (ادارة البوليس) فهناك فقط اوقف المحرك ، ووثب من مقعده وفتح باب السيارة وقال بلهجة الساخر :

ــ والآن تفضل بالنزول يا مسيو لوبين .

ولكن باب السيارة لم يكد يفتح حتى انبعثت منه سحب كثيفة من دخان اصفر خانق ما كاد يصل الى رئتي مفتش

البوليس حتى راح يسعل بقوة ، واغرورقت عيناه بالدموع .
وكان بعض رجال المرور قد لحقوا به على الموتوسيكل ، فوصلوا في تلك اللحظة ، وعرفوا في ذلك السائق الجرىء مفتش البوليس ماكنزى . فخفوا الى نجدته . وراحوا يطردون سحب الدخان الاصفر الخانق بكل وسيلة ممكنة ومفتش البوليس يصيح بلا انقطاع :
– اريد هواء . هواء ، انني اختنق .
ولما انقشعت سحب الدخان نهض ماكنزى من مكانه ، واطل داخل السيارة ولكنه لم ير بداخلها احدا .
كان كل ما وجده في أرض السيارة هو عبارة عن انبوب صغير كان الدخان لا يزال ينبعث منه ببطء .
أما لوبين . فانه اختفى . تبخر .
واجال الطرف حوله باحثا عن غريمه بعينين زائغتين . ولكنه لم يقع له على اثر .

* * *

لم يشعر لوبين بالاضطراب او الانزعاج حين أدرك ان سائق السيارة هو ماكنزى . وكان يعرفه حق المعرفة ويعلم انه زميل المفتش تيل ويحل محله اثناء غيابه فتريث حتى اقتربت السيارة من (سكوتلنديارد) واخرج من جيبه انبوبا كان يحتفظ به دائما للطوارىء ، وكان هذا الانبوب يحتوى على مسحوق اكتشف حديثا يسمى (اروميال) من مزاياه انه اذا الهب بعود ثقاب او وضعت فوقه لفافة تبغ مشتعلة ان يستحيل في التو واللحظة الى دخان اصفر كثيف خانق .. يتعذر على الانسان ان يستنشقه .
فلما اقتربت السيارة من ادارة الشرطة . ادنى لوبين لفافة التبغ من فوهة الانبوب وانتظر حتى انبعثت منها الادخنة ، وفي هذه اللحظة كان ماكنزى قد اوقف محرك

السيارة ، وفتح بابها ليأمر لوبين بالخروج . . فانتهز هذا فرصة هبوط سحب الدخان على وجه ماكنزى ، وتسلل من الباب الآخر للمركبة ، ولم يكن رجال المرور الذين طردوا السيارة قد وصلوا بعد .. فاندمج لوبين بين جمهور المارة وغاب عن الابصار .

* * *

وبعد ربع ساعة . هبط لوبين من احدى سيارات الاجرة امام الفرع الحادى عشر لبنك « جنوب لندن » في ابروميلى وكان قد فكر في اثناء الطريق في كيفية اهتداء ماكنزى الى سيارته . فاعتقد ان مفتش البوليس لا بد قد عرف السيارة بطريق الاتفاق . ولم يخطر له ببال ان لسان روجر تدزل فكاد ذلك ان يؤدى الى القبض عليه .
على ان الخطر الذى استهدف له لم يحمله على الاحجام عن المضى في مغامرته الجريئة الى النهاية ، فدخل ادارة الفرع الحادى عشر للبنك . وقصد لتوه الى موظف الخزانة ، وقال له :
– انا ادعى صموئيل راتويل
بيد انه لم يكد ينطق بهذا الاسم حتى حملق الموظف في وجهه بذعر وصرخ :
– النجدة ، النصاب ، اللص ، المحتال . .
وادرك لوبين في الحال ان ادارة البنك لابد قد اتصلت بباقى الفروع وحذرتها منه .
وقد دق في الحال جرس الخطر ، فدب الذعر في المكان ، وباسرع من لمح البصر اغلقت ابواب البنك ، واخرج الحراس مسدساتهم ووقفوا على استعداد .
وساد الهرج بين المودعين وعملاء البنك وعماله ، واراد لوبين ان يقوم بمحاولة اخيرة للافلات ، فانطلق نحو الباب

الخارجي ولكنه وجده مغلقا ، ورأى امامه أحد رجال الشرطة شاهرا مسدسه .

قال له الحارس :

ــ ان الخروج ممنوع الآن يا سيدى .

فهتف لوبين مستنكراً :

ــ ما معنى هذا ؟ ! الا يستطيع رجل محترم ان يدخل احد مصارف لندن دون ان يجد نفسه مهددا برصاص المسدسات .

فاجابه الحارس :

ــ أن الاوامر التى صدرت الى صريحة ، ولكن هاأنذا أرى من النافذة المفتش ماكنزى مقبلا بسيارة البوليس ومعه ستة من رجاله فاطمئن ياسيدى .. سوف يسمح المفتش لجميع العملاء بالانصراف .

وفتح باب المصرف على الاثر .. ودخل ماكنزى وهو يصيح :

ــ هل قبضتم عليه ؟!

وهنا صاح موظف الخزانة وهو يشير الى لوبين بين الموجودين :

ــ ها هو .. ها هو .

واطبق رجال البوليس على لوبين . ولكنه ردهم عن نفسه بقبضة يده . ولكماته القوية . وتخلص من بين ايديهم وانطلق يعدو على غير هدى .. ووجد امامه دهليزا فوثب اليه . واجتازه بسرعة .. ولما وصل الى نهايته . برز له رجل طويل القامة نحيل الوجه وصاح به :

ــ عد بحق السماء . عد من حيث أتيت . لا احد يمر من هنا .

ولكن لوبين دفعه بيده دفعة القته على الارض . واندفع الى الامام . بيد انه ما لبث ان وجد امامه بابا مغلقا .

كان الموقف شديد الحرج ..

نهض الرجل من سقطة وصاح بلوبين :

ــ من انت يا رجل . وماذا تفعل هنا ؟ عد من حيث اتيت .. انني امرك بان تعود .. انني مدير هذا البنك .

فهتف لوبين :

ــ انت مدير البنك ؟ وياللحظ الحسن !!

واحاط الرجل باحدى يديه ليمنعه من الحركة .. وراح بيده الاخرى يفتش جيوبه حتى عثر بحلقة من المفاتيح .. فاخذ يجربها فى قفل الباب بسرعة .

وانه يفعل ذلك .. اذا به يسمع وقع خطى رجال البوليس وهم يقتربون فى الدهليز .. ولكنه استطاع أن يفتح الباب فى الوقت المناسب .. فمر منه ثم اعاد غلقه .. واخرج من جيبه مصباحا كهربيا اضاءه لينير له الطريق ..

وجد نفسه عند قمة سلم يؤدى الى سرداب مصفح يحتفظ فيه البنك بالسبائك الذهبية فهبط السلم بسرعة .. وراح يبحث فى السرداب عن مخرج ..

وفجاة .. ارتطمت قدمه بشيء .. فانحنى ليراه .. ولمسه بيده .. فاذا هو جسم انسان ممدد على الارض ..

استولى عليه الفزع .. وصوب نور المصباح نحو ذلك الجسم .. فالفاه جثة رجل قد شوهت تشويها بشعا !!

وفى ذات اللحظة .. كان ماكنزى ورجاله قد بلغوا الى الباب الذى اوصده لوبين فراحوا يقرعونه بعنف ..

وفجاة قال احد رجال البوليس محدثا ماكنزى :

ــ الم تسمع شيئا ياسيدى المفتش ؟

فارهف ماكنزى اذنيه وقال :

ــ نعم .. نعم .. يخيل الى اننى سمعت صوت طلق نارى ..

وامر ماكنزى فجىء له بمطرقة راح هو ورجاله يعالجون بها الباب حتى تحطم ..

واندفع المفتش الى الداخل فى مقدمة رجاله .. ولكنه لم يكد يهبط السلم المؤدى الى السرداب .. حتى سمع صرخة مدوية .. ثم ساد صمت عميق ..

قال ماكنزى :

ـ لابد ان حادثا وقع فى القبو .

وهبط السلم مسرعا .. وتبعه رجاله . وقد وصلت الى آذانهم حشرجة كحشرجة المحتضر كانت تنبعث من جوف القبو .

صاح ماكنزى :

ـ اضيئوا المصابيح

فاضيئت المصابيح فى الحال .. ووقعت ابصار القوم على منظر جعل الدماء تجمد فى عروقهم :

راوا فى وسط القبو جثة ممددة فى بحيرة من الدماء . فصرخ مدير البنك وكان قد تبع رجال البوليس :

ـ يا الهى .. ما هذا ؟!

وجثا المفتش ماكنزى بالقرب من الجثة وفحصها .. كانت جثة لوبين بلا ادنى شك .. وقد تلوث معطفه الثمين بالدم ـ كما تلوث وجهه ويداه ـ وكان موضع الرصاصة التى اودت بحياته ظاهرا فى جمجمته .

قال ماكنزى

ـ انه لوبين بعينه ..

ورفع مفتش البوليس قبعته احتراما لجثة ذلك الغريم القوى .. وانه لايزال ينظر الى الجثة بمزيج من الاشفاق والالم اذا باحد رجال البوليس يصيح :

ـ هنا جثة رجل آخر ..

فهرول ماكنزى ورجاله الى حيث اشار الشرطى ..

رأى امامه جثة رجل قد شوه وجهه تشويها بشعا .. فركع بجانبها . وشرع فى تفتيش ثيابها .. ولكنه لم يعثر بها على شىء او اية قصاصة ورق تثبت شخصية صاحب الجثة كذلك لم يستطع ماكنزى رغم الجهود التى بذلها ان يعثر على اى منفذ سرى فى جدران القبو .

قال له مدير البنك متوسلا :

ـ هذا مخيف يا سيدى .. لص خطير يقتل او ينتحر فى البنك وجثة تنقل من الخارج الى هذا القبو . . هذا مخيف ياسيدى .. ان سمعة « البنك » اصبحت فى خطر .

فاجابه ماكنزى :

ـ كن مطمئنا ياسيدى .. سنبذل قصارى جهدنا لاماطة اللثام عن هذه الاسرار .

وفى هذه الاثناء .. كان احد رجال البوليس قد انطلق لدعوة احد الاطباء . فاقبل الطبيب وفحص جثة الرجل المجهول .. ثم هز كتفيه وقال :

ـ انه قتل بطعنات خنجر .

ثم فحص جثة لوبين وهز راسه وقال :

ـ وهذا ايضا قد مات .. ولكن ماهذه الجرائم ؟! وكيف حدثت ؟

فقال ماكنزى :

ـ انى على استعداد للنزول عن عشرة اعوام من عمرى لكى اعرف كيف حدث كل هذا .. وكانما قد اراد هذا اللص لوبين ان يضايقنى حتى بعد موته .

وفجاة .. خطر للمفتش ماكنزى خاطر فشرع فى تفتيش القبو مرة اخرى . ثم هز راسه وغمغم قائلا :

ـ لا شىء ..

فسأله مدير البنك :

ـ ماذا تعنى ؟

فأجاب ماكنزى :

ـ كنت اعتقد ان لوبين انتحر .. ولكنى لم اجد اثرا للمسدس الذى انتحر به ..

ولما يئس ماكنزى من الوقوف على اثر جديد يرشده الى حقيقة الفاجعة المزدوجة التى وقعت فى القبو . أمر بنقل الجثتين الى احدى غرف البنك .. تمهيدا لنقلهما نهائيا بعد انصراف العملاء والمودعين .. وقد نقلت الجثتان فعلا .. وترك ماكنزى احد رجاله لحراستهما .

وضعت جثة لوبين على طاولة صغيرة بجانب الجثة التى لم يعرف صاحبها .. واخذ حارس الجثتين يسير فى الغرفة جيئة وذهابا وهو شديد التبرم بمهمته .

وفجأة . وقف الحارس وراح يحملق نحو الطاولة بعينين مفتوحتين فى دهشة وذعر .

ذلك انه خيل اليه انه يرى احدى الجثتين تتحرك .

ففتح فمه لكى يصرخ ولكن صوته احتبس فى حنجرته . ولم يستطع حراكا كأنما قد سمرت قدماه بالارض

لم يكن لدى الحارس ثمة شك فى ان لوبين قد تحرك فوق الطاولة التى مدد عليها .

والواقع . ان صدر لوبين اخذ يرتفع ويهبط فى هدوء . ثم تحرك ساعداه . ونهض فجلس على الطاولة وحدج الشرطى المكلف بالحراسة بنظرة جعلت الدم يجمد فى عروقه .

فسقطت من يده العصا الثقيلة التى كان يحملها . ولاذ بالفرار من الغرفة وهو يرسل صيحات ذعر وفزع . فضحك لوبين . ثم راح يسير فى الغرفة جيئة وذهابا ويحرك ساعديه وساقيه بقوة ليكسب عضلاته شيئا من المرونة . ولينشط الدورة الدموية فى جسده .

ثم فتح باب الغرفة .. وانصرف منه . فصادفه احد موظفى البنك . ورأى وجهه الملطخ بالدماء . فذعر بدوره

ولى الادبار وهو يصرخ فى رعب .

وكانت الساعة قد تجاوزت الخامسة وانصرف الجمهور من المصرف . واغلق باب المصرف الخارجى ولم يبق غير بعض موظفى البنك . وهؤلاء كانوا بدورهم يستعدون للانصراف .

واجال لوبين الطرف حوله فى صالة البنك الكبرى . فلم ير من رجال البنك غير موظف الخزانة . وكان الرجل قد شغل بتصفية حساباته . فلم ير لوبين وهو يفتح الباب الداخلى .. ويقترب منه

سأله لوبين بصوت اجوف :

ـ الا زلت تشتغل حتى هذه الساعة ؟

فرفع الرجل رأسه . ورأى محدثه . فنهض من مقعده فى ذعر وصرخ :

ـ يا الهى .. من انت ؟

فأجابه لوبين وعلى شفتيه ابتسامة غامضة :

ـ لقد قلت لك قبل الآن ان اسمى صوئيل راتوبل ، ولكن ذلك لا يهم كثيرا فى الوقت الحاضر . المهم ان اعلم كم يوجد فى خزانتك من النقود ؟

فهتف الرجل :

ـ لا شىء .. لا شىء على الاطلاق .

ـ مما يؤسف له الا توجد فى خزانة مصرف كبير كهذا نقود على الاطلاق ..

ومد يده ففتح باب الخزانة . والقى ببصره الى داخلها .. وهتف :

ـ يا الهى .. مائة .. الف .. خمسة الاف .. عشرة الاف .. اربعين الفا من الجنيهات ! ! هذا مبلغ بديع . ولكن حدثنى يا سيدى هل يتأثر مركز البنك من الناحية المالية لو انا اخذت عشرين الفا من هذه الاربعين ؟ أؤكد لك اننى بحاجة الى شىء من النقود .. سيما وان المفتش ماكنزى قد

استولى على المبلغ الذى قضيت طيلة النهار فى تحصيله . فمن الواجب اذن أن انال تعويضا .

ثم دس رزم الاوراق المالية فى جيبه . واستطرد قائلا لموظف الخزانة بلهجة مخيفة :

ـ الساعة الآن الخامسة .. فلا تتحرك من مكانك هذا قبل الساعة السادسة هل فهمت .

وترك الرجل جامد الحركة فى مكانه .. وسار فى بهو صادفه .. وخيل اليه وهو فى طريقه انه يسمع جدلا بين شخصين .. ولاحظ أن الاصوات صادرة من غرفة معينة .. فاقترب من بابها . وانصت جيدا فسمع شخصا يقول :

ـ انني مكلف رسميا بنقل مجوهرات دوق نورفولك الى المعرض غدا وحراستها ..

فوقف لوبين فى مكانه .. وطافت بذهنه خواطر عدة . ثم انحنى قليلا .. وارسل بصره الى داخل الغرفة من خلال ثقب المفتاح ورأى فى الداخل ما جعله يحبس انفاسه . ولكنه لم يلبث ان هز كتفيه .. ومضى فى سبيله الى المغسل .. فازال اثر الغماء عن وجهه ويديه .. ونظف معطفه . وغادر البنك من الباب الخاص بالموظفين .. فى الوقت الذى كان فيه المفتش ماكنزى يدق الباب الخارجى بعنف طالبا السماح له بالدخول تلبية لاستغاثة الشرطى الذى راى لوبين يعود الى الحياة .

اما لوبين .. فانه قصد لتوه الى المنزل الجديد الذى انتقل اليه فى شارع سان جيمس .. فوجد روجر ينتظره على احر من الجمر .

فهتف هذا عندما راى صاحبه :

ـ اهذا انت ؟ ! لقد كنت فى اشد القلق عليك ..

فاجاب لوبين وهو يبتسم :

ـ وانا كذلك .. لقد رأيت المفتش ماكنزى مرتديا معطفك وقبعتك فادركت فى الحال انه اعتقلك ..

وتهالك لوبين على احد المقاعد ، وهو يلهث من التعب وقال :

ـ كيف استطعت الافلات منه ؟ !

فابتسم روجر وقال :

ـ هذه أول مغامرة حقيقية جازفت فيها .. واظهرت شيئا من البراعة .. ان ماكنزى امر اثنين من رجاله باعتقالى والذهاب بى الى منزل مجاور للبنك . وهناك نزع ماكنزى معطفى وقبعتى . وتركنى مع الشرطيين .. حتى يتثبت من العلاقة التى بيننا ..

وابتسم روجر فى شىء من القلق واستطرد :

ـ وبهذه المناسبة . . انني واثق الآن من ان (سكوتلنديارد) قد وضعتك تحت الرقابة منذ مدة . فقد فهمت من كلام ماكنزى انه يعرفك معرفة جيدة ..

فقال لوبين :

ـ نعم .. ان الشقى عرفنى فى الحال باسمى الحقيقى ولكن حدثنى .. هل اشارت صحف بعض الظهر الى شىء من الحوادث التى وقعت فى ادارة الفرع الحادى عشر لبنك جنوب لندن ؟

فاجاب روجر :

ـ انها اشارت فقط الى جريمة غامضة وقعت فى الفرع المذكور .. والى وجود جثة شخص مجهول فى قبو البنك .

وكانت اشارتها موجزة مما يدل على انها تلقت النبأ فى آخر لحظة ..

فابتسم لوبين وقال :

ـ طبعا .. ان ادارة البوليس يهمها الا تعلن عن عجزها

وقتل رجالها في مطاردتي .. فكتمت الحوادث التي كنت انا بطلها .. حتى لا تنطلق الالسنة بالهزء برجال البوليس .

وصمت لوبين لحظة ثم سأل :

ــ وماذا فعلت بعد ان تركك ماكنزي بين ايدي رجاله ؟

ــ ماذا فعلت ؟ ؟ هربت منهم ونحن في الطـــــريق الى سكوتلانديارد .

ــ حسنا فعلت .. والا لكنت وقعت الآن في حيص بيص

على ان روجر لم يسمع الجملة الاخيرة .. او لم يفهمها لان شيئا في راس لوبين لفت نظره ..

قال في شيء من الجزع :

ــ ماذا اصابك ؟ ؟ أ هل جرحت ؟ ؟ انني ارى خصلة من شعرك ملوثة بالدم وملتصقة بالجمجمة .

فاجاب لوبين وهو ينظر في المرآة :

ــ الامر ابســـط مما تتصور ياعزيزي روجر .. انني جرحت نفسي .. هذا كل مافي الامر .. لقد كنت دائما ضد فكرة السطو والمسدس في جيبي .. ولكني احمد الله على انني حملت مسدسي معي في هذه المرة . لانه ساعدني على الانتحار .

فهتف روجر في دهشة :

ــ الانتحار ؟ !

ــ نعم .. وبانتحاري تمكنت من الاستيلاء على هذا المبلغ

واخرج من جيبه حزمة الاوراق المالية ووضعها على المائدة فهتف روجر

* * *

ــ يا الهي .. ماذا فعلت يا لوبين ! ! !

وهنا شرع لوبين يسرد على صاحبه كل ما اتفق له في ذلك النهار الحافل بالحوادث والمفاجآت الى ان قال :

ــ والانسان حين يفكر في الاحتيال على ثلاثة عشر مصرفا

يتعين عليه ان يحتاط لكل مفاجأة .. ومن حسن الحظ انني لم اترك شيئا للمصادفات .. فلما تحرجت بداخل القبو .. وبحثت عبثا عن منفذ فلم اجد .. ايقنت انني على ابواب كارثة وانني لن اخرج من القبو الا الى السجن .. ولذلك جربت آخر وسيلة ممكنة للافلات .. وهي ان اتصنع الموت .

وقد كنت احمل معي قنينة تحتوي مزيجا من (التوكسين) (المورفين) .. ومن خصائص هذا المزيج اذا حقن به الانسان ان يتجلد جسده .. وتمتقع بشرته .. وتتخدر اعصابه .. ويقع في غيبوبة يبدو معها انه جثة هامدة .. ولا يتمكن من معرفة الحقيقة سوى طبيب ماهر يستطيع ان يسجل نبضات القلب الضعيفة .. اما الطبيب الذي جيء به لفحص جثتي فانه قام بمهمته بسرعة وبغير عناية .

ولنرجع الى الوقائع .. فاقول لك انني بدأت بنقل جثة القتيل المجهول من مكانها .. ثم اطلقت على جبهتي رصاصة من مسدس حرصت على الا تحدث بي غير مجرد خدش بسيط ثم القيت بالمسدس من نافذة صغيرة في اعلا الجدار لم يفطن اليها ماكنزي ورجاله . وبعد ان اغلقت النافذة وحقنت نفسي بمزيج التوكسين والمورفين .. تمددت وسط الدماء في المكان الذي كانت به جثة القتيل المجهول .

* * *

ومضى لوبين في سرد قصته وروجر يصغي اليه في فضول الى ان فرغ من حديثه فشد روجر على يده معجبا وقال :

ــ في الحق هذه مجازفة تســاوي ضعف المبلغ الذي استوليت عليه .

* * *

وقد اهتم لوبين في ذلك النهار بقراء جميـــع الصحف المسائية ليعلم ما نشرته من امر مجازفته .. ولكنه اطمأن

حين وجد ان الصحف جميعا اغفلت ذكر الحادث .. وترجح لديه ان ادارة الشرطة لابد قد تعمدت انكار الحادث واخفاءه حتى لا تثير سخرية الجمهور برجال البوليس . وحتى يتمكن هؤلاء من اقتناص ضالتهم فى جو هادىء .

بيد انه وقع فى جريدة « الايفننج نيوز » على نبأ لفت نظره لاتصاله المباشر بحديث سمعه أثناء وجوده فى الفرع الحادى عشر لبنك « جنوب لندن » .

قرا لوبين فى ذلك النبأ ما يلى تحت عنوان « مجوهرات دوق نورفولك »

« عاد دوق نورفولك منذ ايام من رحلته فى الهند واعلن خطبته لليدى ويدمور ابنة اللورد ويدمور النبيل المعروف . وقد اتصل بنا ان الزواج سيتم بعد ايام قلائل فى احتفال نادر المثال .. لان العروسين ينحدران من اغنى الاسر الانجليزية .. ودوق نورفولك وحده يملك مجموعة من المجوهرات لا يقل ثمنها عن مليونين من الجنيهات . وقد اهدى الى خطيبته سبع قطع من ابدع هذه المجوهرات » .

« ولهذه المجوهرات قصة عجيبة . فهى اهم جانب من ثروة الدوق وهى محفوظة منذ عهد اسلافه فى خزائن بنك « جنوب لندن » .

«و قد نص راس اسرة نورفولك فى وصيته على ان الوريث لا يحق له الاستيلاء على المجوهرات الا عندما يتزوج ومنذ توفى والد الدوق الحالى قبل أربعة اعوام . وهذه المجوهرات الثمينة محفوظة فى بنك « جنوب لندن » وقد جرت ادارة البنك على عادة لا بأس بها لتضليل الطامعين فراحت تنقل المجوهرات بين فروع البنك المتعددة .. حتى اصبح لا يعلم بمقرها الا نفر من كبار موظفى البنك » .

« وثمة نص آخر فى وصية راس نورفولك يقضى بعرض

جوهرات قبل تسليمها الى وريثها الجديد .. والغرض ى توخاه راس الاسرة من هذا الشرط .. هو منع الوريث بيع المجوهرات او رهنها .. لانها اذا نقصت قطعة واحدة هذا النقص عند عرضها وذلك يكفل اخجال الوريث . يقدم على التصرف فى تراث ابائه واجداده » .

« وهذه المجوهرات ليست فقط ثروة يعتز بها افراد اسرة ورفولك ولكنها كذلك تحفة قومية يتعين على كل انجليزى فخر بها ويحرص على بقائها فى أرض الوطن » .

« ونزولا على ارادة المورث الاول . قرر الدوق الحالى ض المجوهرات الثمينة بمعرض (ريجنت ستريت) فى ة بين ١٧ و ٢٥ يناير » .

هذا وقد اتخذت جميع الاحتياطات الضرورية للحيلولة ن سرقة هذه المجوهرات التى ستعرض الان لأول مرة منذ عة عشر عاما » .



قرا لوبين هذا النبأ ثم قال وهو يبتسم :

— هل قرأت حكاية مجوهرات دوق نورفولك المنشورة ذه الجريدة ياروجر ؟

— نعم .. ولكنى لم اعلق عليها شيئا من الاهمية . وكل همنى بعد اذ سمعت قصتك هو ان اعرف من هو ل المجهول الذى وجد مقتولا فى قبو البنك .

هز لوبين كتفيه واجاب :

— فى اعتقادى ان هذا القتيل المجهول هو رجل على اتصال بالبنك .

— وما الذى يدفعك الى هذا الاعتقاد ؟

— يدفعنى الى هذا الاعتقاد ان الرجل قتل .. ولكن ان احزم رايى على امر .

ان فى نيتى ان اذهب غدا متنكرا الى معرض المجوهرات
فنظر اليه روجر فى دهشة وقال :
ـ هل لى ان اسألك عما تنوى عمله ؟
ـ يجب ان احرس مجوهرات دوق نورفولك .
قال ذلك . ثم نهض الى طاولة الكتابة .. وكتب الرسالة التالية :
« المفتش ماكنزى ـ سكوتلانديارد »
« عزيزى ماكنزى
« لا يسعنى على سبيل الاعتراف بما اسداجتك من فضل على . الا ان اؤدى لك خدمة ربما ترفع من شانك .. وتجلب لك ما تستحق من ترقية » .
« وهذه الخدمة هى اننى انصح لك بمراقبة مدير الفرع الحادى عشر من بنك « جنوب لندن » .. فهذا الرجل مجرم خطير »

« لوبين »

* * *

انفرد لوبين بعد ذلك فى غرفته الصغيرة الخاصة التى كان قد اعدها .. وجلب اليها من مختلف الاصباغ والشعر المستعار مالا غنى عنه لمن يرغب فى التنكر .. على انه لم يشرع فى الحال فى تغيير سحنته .. بل اخــذ يفكر ويفكر حتى انقضت ساعة او بعض ساعة .

لم يكن يفكر فى خطة للعمل .. بل كان يحاول ان يتذكر ملامح شخص معين حزم امره على ان يتزيى بزيه .. ويتشكل بشكله .. وما ان فرغ من تذكر سحنة الرجل وقسمات وجهه وارتسمت صورته فى مخيلته حتى شرع فى عملية التنكر .. وقد فعل ذلك بسرعة الرجل المتمرن .. وخرج من غرفته بعد دقائق فاذا هو رجل اسمر البشرة له لحية شقراء .

وكانت تلك اول مرة يرى فيها روجر صديقه متنكرا .. وبدت عليه الدهشة .. وخيل اليه انه قد فهم خطة لوبين .
قال له :
ـ يخيل الى ان مقال (الايفننج نيوز) قد لفت نظرك بمزيد الاهتمام والتفكير .
ـ هذا صحيح ..
فسأله روجر فى ذعر :
ـ هل فى نيتك الاستيلاء على مجوهرات دوق نورفولك ؟
ـ ربما .. ولكن هلم بنا الان .. هل لك فى مرافقتى ؟
وتوقف روجر مترددا لحظة ثم سأل :
ـ الا تعرض نفسك على جارنا الدكتور تيوبولد ليفحص الجرح الذى اصاب رأسك ؟
ـ قلت لك انه جرح سطحى لا اهمية له .. هلم بنا .
ـ الى اين ؟
ـ الى الفرع الحادى عشر لبنك جنوب لندن . ؟
ـ يا لله هل جننت يالوبين ؟ الم يكفك مافعلت اليوم ؟!
الك تأبى الا ان تقضى ليلتنا جميعا فى اعماق السجن ..
ـ هدئ من روعك .. ان طمأنينتنا ياصديقى .. انك لن تستهدف لاى خطر
ـ كيف لا استهدف لاى خطر وقد افتضح امرنا لرجال البوليس ولا بد ان يكون ماكنزى قد اذاع اوصافنا على جميع رجال الشرطة والبوليس السرى فى كل انحاء لندن ؟ انا واثق ان اى شرطى يبصر بنا .. لن يتردد فى الانقضاض علينا .
ومن يدرى .. فربما تنشر الصحف غدا صورتنا الفوتوغرافية فتكون الطامة الكبرى .
فقهقه لوبين ضاحكا حين رأى علامات اليأس والجزع التى ارتسمت على وجه صديقه وقال :

- يا عزيزى .. انك لازلت على الشـــاطىء .. و
استطاعتك ان تنسحب فى اية لحظة .

فاطرق روجر براسه .. وفكر لحظة .. ثم تناول
وتبع لوبين دون ان ينطق بكلمة .

* * *

انصرف موظفو الفرع الحادى عشر لبنك « جنوب لند
ولم يبق سوى المدير فى مكتبه . وقد اعد امامه مجوهرا
دوق نورفولك التى كان يتعين نقلها الى المعرض (ريجن
ستريت) فى صباح اليوم التالى .

وقد ظل الرجل يعمل فى مكتبه حتى انتصف الليل ..
ومن ثم نهض الى بيته وهو مطمئن الى ان المجوهرات بـ
حيث تركها فى غرفة عمله .

وقد اجال طرفه فى الشارع عند انصرافه فرأى رجـ
البوليس المكلف بالحراسة يروح ويجىء امام البنك فزاد
طمأنينة المدير ومضى فى سبيله .

كان على رجل البوليس المكلف بالحراسة فى الشـــارع
يدور حول مبنى البنك مرة فى كل ساعة ليستوثق من
جميع الابواب لا تزال مغلقة ولم تقع اية محاولة لفتحها ..
او كسرها .

ففى الساعة الواحدة صباحا .. بدا الشرطى يقوم بدور
المعتادة ولكنه لم يكد ينحرف فى احد اركان المبنى حتى بر
من الظلام رجلان طويلا القامة .. واقتربا من جدار البنك .

كان الرجلان هما لوبين وصاحبه روجر .

* * *

ارسل لوبين بصره الى نوافذ البنك وقدر ارتفاعها
الارض . ثم قال لصاحبه :

- هل ثمة ما يمنعك من ان تدعنى اصعد على كتفيك ؟

فاطاع روجر وعقد ساعديه فوق صدره .. ووقف جامدا
فوثب لوبين فوق كتفيه بخفة النمر .. وتعلق بالنافذة
ها باداة فى يده .. حتى فتحت .. وما لبث أن اختفى
البنك .. ووقف روجر فى زقاق قريب .. ليقوم
الرقابة .

عاد الشرطى من دورته . واخذ يسير امام دار البنك
وذهابا .. ثم انحرف فى الشارع المجاور .. وحار
كيف يخطر لوبين بان الفرصة سانحة للخروج . وهم
يصفر بشفتيه .. ولكنه قبل ان يفعل .. فتحت النافذة
منها لوبين بمهارة .. ثم اغلقها .. وتدلى من حافتها
وثب الى الارض ولحق بصاحبه .

ورأى روجر تحت ابطه صندوقا صغيرا فساله وهمـا
ان الخطى فى الزقاق :

- ما هذا الذى تحت ابطك ؟

فاجاب لوبين ضاحكا :

- هذه مجوهرات دوق نورفولك .

لم يصدق روجر اذنيه وهتف :

- مجوهرات دوق نورفولك ؟ ! انك تحمل تحت ابطك
لاتقدر بثمن .. الست خائفا يا رجل ؟

- ومم اخاف ؟

- أن غدا هو الموعد المقرر لعرض هـــذه المجوهرات فى
ع ريجنت .. فمتى اكتشف امر السرقة .. حشد رجال
ليس قواهم للبحث عنها .. والقبض على سارقيها ..
لن يكون أول عمل يقدمون عليه انهم يعتقلونك وامثالك
حوم حولهم الريب والشبهات .. اضف الى ذلك انه من
ر عليك أن تتخلص من هذه المجوهرات الثمينة المشهورة
جد من يبتاع قطعة واحدة منا وهو آمن مطمئن .

فابتسم لوبين مرة اخرى .. وقال :

ـ قلت لك يجب ان تطمئن .. فالجوهرات ستعرض غدا ..

ـ لا افهم ما تعنى ومن ذا الذى سيقدمها للعرض بعد ان قد وقعت فى قبضة يدك ؟

ـ ساقدمها للعرض بنفسى ..

ـ انت .. انت تحمل مجوهرات دوق نورفولك الى المعرض ؟

ـ نعم .. انني منذ الان مندوب بنك « جنوب لندن » المكلف بحراسة المجوهرات .

ـ انك تتكلم بالالغاز يا لوبين .

ـ غدا تفهم كل شيء ياروجر .

للانجليز وجهة نظر خاصة فى نقل الاشياء الحيـ[illegible] الثمينة التى يخشى عليها من الضياع . فهم يرون ان احاطة هذه الاشياء بجيش من الحراس من شانه ان يلفت الانظار اليها . وان يغرى بسرقتها .. ولذلك لم تدهش الجماهير التى احتشدت فى معرض شارع ريجنت لشهود مجوهرات دوق نورفولك الشهيرة عندما ابصرت برجل طويل القامة نحيفا ذى لحية قصيرة مدببة شقراء .. يدخل قاعة العرض وبيده حقيبة صغيرة ..

وبيده حقيبة صغيرة .. فتحها واخـــرج منها طائفة من المجوهرات الثمينة التى يبهر منظرها الابصار .

خف مدير المعرض الى الرجل . وحياه باحترام وسأله :

ـ هل انا فى حضرة مستر (بليك) مندوب بنك « جنوب لندن » ؟

فاجاب الرجل فى ادب وهو يخرج مسدسه من جيبه ويضعه بجانب حقيبة المجوهرات :

ـ نعم يا سيدى .. انا آرثر بليك مندوب بنك « جنوب لندن » المكلف بعرض مجوهرات دوق نورفولك وحراستها .. اليست هذه هى الطاولة التى اعدت لعرض هـذا الكنز ؟

ـ نعم يا سيدى .. وقد اتخذت الاجراءات اللازمـــة لحمايتها .. وكلفت ادارة الشرطة احدى نسائها الماهرات لمراقبة الزائرات .. فضلا عن رجال البوليس السرى الذين ينتشرون فى طول المكان وعرضه لمراقبة الزائرين .

فقال مستر بليك متعضا :

ـ ولكن اين هم اولئك الحراس ؟

ـ انك بكرت بالحضور يا مستر بليك .. فالموعد المقرر لعرض المجوهرات هو الساعة العاشرة .. والساعـــة الان التاسعة .. فانت بكرت كثيرا .

ـ لا باس .. سأتولى بنفسى حراسة المجوهرات .. الى ان يحضر رجال البوليس السرى .

وفى هذه الاثناء .. كان المتفرجون قـد بداوا يطوفون بالطاولة المغطاة بالقطيفة التى عرض عليها مستر بليك تلك المجوهرات والماسات واللآلىء الثمينة .

فالتفت اليهم مستر بليك .. وقال وهو يعبث بالمسدس بيده :

ـ محظور مس هذه المجوهرات . ان الاوامر التى لدى هى ان اطلق الرصاص فى الحال وبغير تردد على من يمد يده الى اية قطعة من هذا الكنز .

ففرك مدير المعرض يديه ارتياحا الى نشاط مستر بليك الحكيم .

وفى هذه اللحظة دخلت صالة المعرض سيدة متوســطة القامة فى نحو الثلاثين من عمرها فراحت تشق طريقها بين

المتفرجين حتى وصلت الى حيث كان مدير المعرض واقفا يتحدث الى مستر بليك . فحيت الاول وسألت :

ـ هل كل شيء على ما يرام يامستر وارنر ؟

فاجاب مدير المعرض :

ـ نعم يا آنسة ماريون . ان مستر بليك مندوب البنك قد بكر بالحضور .. ومن حسن الحظ انك فعلت مثله .. وجئت قبل الموعد المقرر ..

ثم التفت الى مستر بليك وقال :

ـ دعني اقدم اليك الآنسة ماريون .. امهر نساء الشرطة فى سكوتلانديارد . ان فى استطاعتك ان تعتمد عليها كل الاعتماد .

فابتسمت ماريون وقالت :

ـ نعم .. كن مطمئنا مادمت الى جانبك ..

فصعدها مستر بليك بعينيه .. ولما كان رجلا واسع التجربة . فقد ادرك فى الحال انه امام صبية ممتلئة غرورا سألها :

ـ هل سبق لك القيام بمهام دقيقة خطيرة كهذه المهمة يا آنسة ؟

فقلبت شفتيها واجابت :

ـ نعم .. قمت بمهام ادق واخطر من هذه .. ولم يبق لى الآن غير رغبة واحدة .

ـ وهى ..

ـ هى القبض على لوبين .. ذلك اللص الفرنسى الجرىء الذى ظهر فى لندن اخيرا وبدأ القوم يتحدثون عنه فى ادارة البوليس .

انك من موظفى بنك (جنوب لندن) وتعرف طبعا الدور الذى لعبه هذا الرجل الجرىء امس .

ـ لو عرف الجمهور ما فعله هذا الرجل امس لاسقط البوليس من اعتباره .

ان كل رجائى الان هو ان اقبض على لوبين هذا قبل ان يستفحل امره .. ولا بد من ان اقبض عليه مهما كلفنى ذلك .

فاجال مستر بليك البصر حوله .. وراى مدير المعرض يبتعد فقال وعلى شفتيه ابتسامة :

ـ لا عجب اذا تحقق رجاؤك يا آنسة .. اذ يحسبك ان تبتسمى للوبين لكى يلقى سلاحه .. ويقع فى أسرك .

فصعد الدم الى وجنتيها .. واشاحت بوجهها كيلا تلتقى عيناها بعينيه الثاقبتين .

وفى هذه اللحظة .. دخل صالة العرض رجل طويل القامة نحيفها ذو لحية قصيرة مدببة شقراء يحمل فى يده حقيبة صغيرة .. فراح يشق طريقه بين الجماهير المحتشدة حتى وصل الى الطاولة التى عرضت عليها مجوهرات دوق نورفولك .. فوقف امام مستر بليك وجها لوجه .

وعندئذ راى الناس منظرا عجيبا .

راوا امامهم رجلين يشبه كل منهما الاخر شبها عجيبا .. واحد هذين الرجلين هو مستر بليك مندوب البنك .. اما الآخر فكان صورة طبق الاصل منه .

❊ ❊ ❊

ساد الهرج والاضطراب فى الحال .. واحاط الجمهور بالرجلين المتشابهين اللذين راح كل منهما يرمق الاخر فى عجب كأنما عقدت الدهشة لسانه

واخيرا هتف القادم الجديد :

ـ يا الهى .. ما معنى هذا ؟ انا مستر بليك مندوب بنك (جنوب لندن) .

وظهرت على وجه مستر بليك الاول علامات الاستنكار وهتف :

ـ انت مجنون يا هذا .

ـ ولكن احد رجال البوليس السرى فهم الموقف على حقيقته او ظن انه فهم فاقترب من القادم وساله :

ـ هل لديك ما يثبت شخصيتك ؟

فاخرج مستر بليك الجديد من الاوراق ماوجد فيه البوليس السرى الكفاية لاثبات حقيقة شخصيته .

وهز البوليس السرى كتفيه وقال :

ـ من المؤكد انه لايمكن ان يوجد سوى مستر بليك واحد . ان هذا حادث مريب .. ولكن هل تستطيع ياسيدى ان تفسر لى معنى وجود مجوهرات دوق نورفولك على هذه الطاولة .. اذا كنت انت مستر بليك حقا ؟

فصاح مستر بليك الاول :

ـ ما هذه الجراة العجيبة ؟ هذا الرجل بغير شك محتال قد تنكر بزيى ليستولى على مجوهرات نورفولك .

ودار الجمهور بالرجلين وراح يرقب هذا الموقف العجيب فى فضول .

واقترب رجل البوليس السرى فالقى بيده على كتف مستر بليك الثانى وقال له :

ـ وماذا تحمل فى هذه الحقيبة ؟

فاجاب :

ـ اننى احمل مجوهرات نورفولك الحقيقية .. اما هذه المجوهرات فزائفة .

وفى هذه الاثناء .. اقترب مستر بليك الاول من الانسة ماريون وقال لها همسا :

ـ لا يبعد ان يكون هذا المحتال هو لوبين بعينه ..

وكان هذا الخاطر بعينه قد طرا على بال ماريون فتقدمت خطوة الى الامام . وامسكت بالحقيبة التى كان بليك الثانى ممسكا بها . وقالت موجهة كلامها الى الجمهور :

ـ اليس بين المتفرجين من يستطيع التفريق بين المجوهرات الاصلية والمزيفة ؟

وما كادت تفرغ من كلامها حتى خرج من بين القوم رجل متقدم فى السن .. ارسل نحو بليك الاول نظرة سريعة .. ثم قال محدثا الانسة ماريون :

ـ اننى جوهرى يا انسة . واستطيع فى طرفة عين ان اميز بين الاحجار الكريمة والاحجار الزائفة .

فقدمت اليه ماريون الحقيبة التى كان يحملها بليك الثانى .. فتناول بعض قطع منها وفحصها .. ثم قال على الفور :

ـ هذه المجوهرات زائفة ولا شك .

فلمعت عينا مستر بليك الاول وقال :

ـ الم اقل لكم ذلك ؟

فهتف مستر بليك الثانى :

ـ ان مدير الفرع الحادى عشر لبنك (جنوب لندن) كان يتوقع ان يسطو لوبين على البنك ليلا ليستولى على المجوهرات كما سطا نهارا على الخزانة . ولذلك فانه وضع المجوهرات المزيفة فى مكتبه .. واخفى الحقيقية فى الخزانة الحديدية .. وها هى المجوهرات الحقيقية فى هذه الحقيبة .

فهز بليك الاول كتفيه وقال :

ـ لا تصدقوا هذا الرجل .. انه محتال جرىء .. انزعوا اللحية القصيرة التى يتنكر بها .. فيظهر على حقيقته

فمد البوليس السرى يده وقبض على اللحية الشقراء المدببة .. وجذبها .. فنزعت فى يده .

وهنا ارتفعت صيحات الدهشة من افواه المتفرجين وقال

مستر بليك الاول :
ــ الان قد وضحت الحقيقة فاذهبوا بهذا الشقي الى ادارة الشرطة .. ودعوني احتفظ هنا بجسم الجريمة .. حتى ان نعلم كيف استطاع هذا المحتال ان يصنع هذه الجوهرات المزيفة مطابقة تماما للجوهرات الحقيقية .
قال ذلك وتناول الحقيبة دون ان يعترضه احد .. ووضعها بالقرب من الجوهرات والماسات المعروضة .. ثم همس فى اذن الانسة ماريون قائلا :
ــ الم اقل لك انه لوبين بعينه ؟
فهزت راسها وغمغمت :
ــ هذا امر مؤسف له .
ــ لماذا ؟ ! ..
فتنهدت واجابت :
ــ كنت اتصور ان لوبين شاب انيق رشيق حليق اللحية والشارب وكان يودى ان يكون لى السبق فى القبض عليه ؟
ــ وهل انت آسفة على انك لم تقبضى عليه ؟
ــ انني اعترف بذلك .
ــ ماذا تعطيني يا آنسة اذا انا مكنتك من القبض عليه ؟
ــ طبعا .. ان فى استطاعتك ان تعرفه قبل غيرك .. لانك كنت احد الذين راوه فى فرع البنك امس .. ولكن اذا حدث واستطاع لوبين ان يفر . ومكنتنى انت من القاء القبض عليه .. فانى امنحك مائة من الجنيهات .
ــ هذا مبلغ ضئيل .
ثم ابتسم واستطرد بصوت خافت :
ــ انى افضل على هذا المبلغ ان انال قبلة من فمك .
ــ انك وقح .
واخذت ترقب المتفرجين وهم ينصرفون تمهيدا لدخول

اخرى منهم . ثم تحولت بعد لحظة الى مستر بليك
له :
ــ اثبت لى ان فى استطاعتك ان تساعدنى على اعتقال
. فاعدك بقبلة ..
فمد اليها يده وقال فى حماسة :
ــ اتقسمين على ذلك .
ــ اقسم ..
ــ حسنا .. اتفقنا .. اقبضى على .
وفى ذات الوقت .. اشار مستر بليك الى رجل البوليس
التى تقوم بحراسة الباب وطلب اليه ان يسمح بدخول
جديد من المتفرجين .
اما الآنسة ماريون .. فانها ظلت واقفة امام مستر بليك
تمثال من الرخام .
لقد اعترف لها هذا الرجل فى كل هدوء وبساطة بانه
فترى هل هو جاد فيما يقول ؟
كانت تفكر فى ذلك عندما سمعت صوت مستر بليك وهو
لها :
ــ ربما كان الافضل ان تعنى بحراسة الجوهرات
.
لقد صرفك النظر الى وجهى من اداء واجبك على الوجه
.
والواقع ان ماريون كانت فى شغل عن الجوهرات بتامل
ستر بليك .
راحت تصعده من راسه الى اخمص قدميه .. وكلما
النظر اليه .. ازداد يقينها من انه لوبين .. اللص
البارع الذى يفتش عنه رجال البوليس فى العالم
.

نعم .. كانت اوصافه تنطبق تماما على الاوصاف ال...
اذاعها المفتش ماكنزى على رجال الشرطة السريين .
تأملت مظاهر الرجولة والقوة التى تتجلى فى قسمات
وجهه .. وايقنت تماما انه لوبين .
نظرت الى لحيته الشقراء وقالت :
ـ ولكن كنت أعتقد انك اسود الشعر .
فاجابها وهو يبتسم :
ـ لو علمت أن سيكون لى شرف التعرف بك يا آنسة
لما ترددت فى ان اترك لحيتى فى المنزل .
فاحمر وجهها .. وضحك مستر بليك ..
نعم .. ضحك على حسابها .. لانها لم تلاحظ ان اللحية
مستعارة .
فتحت فمها وكأنها تهم بان تامر احد رجال البوليس
بالقبض عليه ولكنه حدجها بنظرة ما كادت تلتقى بنظراتها
حتى اطرقت الى الارض ولزمت الصمت لحظة ثم راحت تقول
فى صوت خافت :
ـ انك رجل مخيف . ولكنك لن تفلت منى .
نعم .. لابد ان اقبض عليك قبل ان تبرح هذا المكان
وكل ما فى الامر اننى لا اريد فى الوقت الحاضر أن احدث ضجة
ربما تؤدى الى سرقة المجوهرات المعروضة .
فاجاب لوبين وكان هو بعينه :
ـ على رسلك يا آنسة ... اقبضى على اذا شئت ..
ولكن يجب اولا ان انال القبلة ..
فهتفت فى غضب :
ـ صه ايها الوقح ..
وفى هذه اللحظة عاد احد رجال البوليس السرى الذين
رافقوا مستر بليك الثانى الى ادارة الشرطة .. فشد على ...

... بحرارة وقال له :
ـ انه هو لوبين بعينه لقد وجدنا ان شعر راسه مستعار
... شاربه . . والفضــل فى القبض عليه يرجع اليك
.
فقال لوبين وهو يبتسم :
ـ لقد كنت واثقا من ذلك ..
قال رجل البوليس السرى :
ـ وثمة نبأ آخر يهمك بصفتك من موظفى بنك (جنوب
...) .
ـ وما هو هذا النبأ ؟
ـ ان مدير الفرع الحادى عشر للبنك قد اختفى دون
ان يترك وراءه اثرا .
فابتسم لوبين وسأل :
ـ احقا تقول ؟ الم يجدوه فى منزله ؟
ـ كلا .. ولا يزال امر اختفائه سرا غامضا .. ويخشى
ان يكون فى الامر جريمة .
فاشعل لوبين لفافة تبغ .. وشرع يدخن فى هدوء ..
يراقب سحب الدخان وهى تنتشر فوق راسه .
وظلت الآنسة ماريون واقفة بمقربة منه .. وقد عقدت
يديها فوق صدرها .. وراحت ترقبه عن كثب .. وتعد
عليه الحركات والسكنات . وتفكر فى ذات الوقت .

* * *

اشتهرت الآنسة ماريون بأنها من امهــر النساء اللائى
يستخدمهن (سكوتلانديارد) ..
راحت تفكر فى الموقف فى افق افسح .
قالت لنفسها :
ـ ان الرجل الذى اتهمه لوبين منذ لحظة بانه لوبين ليس

هو وقد ذكر البوليس السرى بان مدير الفرع الحادى عشر لبنك (جنوب لندن) قد اختفى .. ولما كان لوبين الحقيقى ولوبين المزيف يعلمان بحادث السرقة الذى وقع ليلة امس فى مكتب مدير الفرع الحادى عشر للبنك .. فمن المؤكد اذن ان لوبين المزيف .. او بمعنى آخر الرجل الذى ساقه رجال البوليس منذ لحظة الى ادارة الشرطة .. هو المدير المختفى بعينه .

ولكن لماذا جاء حاملا المجوهرات المزيفة ؟ ولماذا اعترف بعد القبض عليه بانه لوبين .. وهو ليس لوبين ؟ .. نعم .. لابد انه اعترف بانه لوبين .. ولولا ذلك ما قال البوليس السرى بلهجة التأكيد ان المقبوض عليه هو لوبين بعينه .

وراحت تضرب اخماسا لأسداس .. وتحاول حل هذا اللغز العجيب .

قالت لنفسها : مهما يكن من امر فلا بد ان يكون مدير البنك قد راى من مصلحته الا يظهر حقيقة شخصيته .

وما دام ذلك كذلك فلا بد انه ارتكب جريمة .. او اقدم على عمل يخشى نتائجه وتبعاته . . ولولا ذلك ما اختفى وتوارى عن الانظار . . ولولا ذلك لما تنكر بلحية مستعارة . واعترف على نفسه بانه لوبين .. وهو ليس كذلك .

انه كان يحتفظ فى خزانة البنك بمجوهرات دوق نورفولك فليس بعيدا اذن ان يكون قد وضع خطة ما للفرار بهذه المجوهرات عقب الفراغ من عرضها .. بدليل انه اصطنع نظائر لها يتعذر على الناظر ان يفرق بينها وبين المجوهرات الحقيقية ؟

ولكن كيف استولى لوبين الحقيقى على المجـــوهرات الحقيقية ؟؟؟؟

وكيف لم يغتنمها لنفسه ويهرب بها ؟؟ ثم كيف حدث

ان تنكر الرجلان لوبين ومدير البنك .. فى زى واحد .. وشكل واحد .. هو زى وشكل مستر بليك الذى كتبت ادارة البنك الى ادارة البوليس وادارة المعرض تقول انه هو المندوب الرسمى المكلف بعرض المجوهرات وحراستها ؟ واين مستر بليك الحقيقى .. ولماذا لم يظهر على مسرح هـــذه الحوادث الغامضة العجيبة فيميط اللثام عن الحقيقة ؟؟

هزت راسها فى حيرة ..

وجدت نفسها امام طائفة غريبة من الالغاز المعقدة .

سمعت الآنسة ماريون فجاة صوتا يسألها :

ـ الا استطيع ان افيدك بشىء ..

فتحولت الى مصدر الصوت .. ورات لوبين ينظر اليها ويبتسم ..

شعرت نحوه بكراهية شديدة .. ولاحظت ما فى صوته من تهكم وسخرية وودت لو تستطيع قتله فى التو واللحظة .. لتنتقم لنفسها من استخفافه .. وتهكمه عليها .

بيد انها شعرت بالحاجة اليه .. شعرت بان هنـــاك اسرارا تستطيع ان تستخلصها منه او تستدرجه حتى يظهرها عليها .

قالت له :

ـ اريد ان اعلم ما صار اليه امر مستر بليك الحقيقى الذى استطعت ان تتنكر فى زيه بمهـــارة عجيبة .. كمـــا استطاع ذلك الرجل الآخر الذى قبضنا عليه منذ لحظة .

ـ ان مستر بليك الحقيقى الموظف ببنك « جنوب لندن » قد مات يا سيدتى .

فهتفت ماريون :

ـ مات ؟ ؟ لعلك تعنى انه قتل ؟ ؟

ـ نعم ..

ـ يا الهى .. وهل انت الذى قتلته ؟
ـ كلا يا سيدتى .. اننى لا اقتل احدا .. انما الذى قتله هو مدير الفرع الحادى عشر لبنك « جنوب لندن » .
ـ هل انت واثق مما تقول ؟
ـ نعم يا سيدتى .. لقد قمت امس بزيارة هذا البنك وحدث اننى سمعت جدلا عنيفا فى احدى الغرف .. فنظرت من ثقب الباب .. وشهدت الجريمة وقت ارتكابها .. ولم استطع التدخل فى الامر لانقاذ الرجل التعس .
ذلك لان الجريمة ارتكبت فعلا قبل ان احرك ساكنا .. ولكنى ادركت فى الحال غرض المدير من قتل ذلك الموظف المسكين .
ـ ان حديثك يثير فضولى يا مستر ..
فقال لوبين ضاحكا :
ـ يامستر لوبين .
ثم استطرد :
ـ من المؤكد ان مدير البنك هو كذلك الذى قتل الرجل المجهول الذى وجدت جثته فى قبو البنك .. ومن المؤكد انه اراد ان يستولى على مجوهرات دو فانورفولك ولكنه اشفق من العاقبة .. وايقن انه اذا سرق المجوهرات وفر بها .. انطلق فى اثره جميع رجال البوليس فى جميع انحاء اوروبا .. فماذا يفعل ؟
فكر فى ان يتخلص من الموظف الامين المنتدب لعرض المجوهرات وحراستها .. لكى يتنكر فى زيه .. ويعرض المجوهرات بنفسه .. ثم يختفى بها بعد ان يضع المجوهرات المزيفة بدلها على سبيل التمويه .. والتعمية .. الى ان يتمكن من مغادرة هذه البلاد .. وليس من المهم متى رحل أن تكتشف جثة مستر بليك .. او يفتضح امر المجوهرات.

فهل فهمت يا سيدتى ؟
فاجابت ماريون :
ـ نعم .. فهمت .. واذن على هذا الاساس وضعت انت خطتك يا مستر .
ـ يا مستر لوبين .. نعم .. على هذا الاساس وضعت خطتى .. فقلت لنفسى ان ما يستطيع هذا الشقى ان يفعله .. استطيع بدورى ان اضطلع به .. وفضلا عن ذلك انه كان يهمنى ان انصب له فخا اوقع به .. لكى يلقى جزاءه فذهبت الى ادارة البنك ليلا .. واستوليت على المجوهرات .. ثم تنكرت فى زى مستر بليك كما رأيته من خلال ثقب الباب .. وجئت الى هنا .. فدفعت بمدير البنك الى ايدى رجال رجال البوليس .
فما قولك فى ذلك يا سيدتى ؟
فلم تجب ...
كانت تفكر فى المجوهرات وفى الخطر الذى يتهدد هذا الكنز الثمين من جراء وجود لوبين بمقربة منه .. فخطر لها ان تدعو احد رجال البوليس وان تطلب اليه ان يقبض فى الحال على لوبين .. ولكنها عادت ففكرت فى انه يحسن بها ان تحاربه بمثل سلاحه .. وان تمضى فى استدراجه لتعرف المزيد .
فسألته :
ـ ولكن كيف حصلت على المجوهرات الحقيقة ؟ .. ولماذا اقبل مدير البنك الآن حاملا المجوهرات المزيفة ؟
ـ سأوضح لك ذلك يا سيدتى .. ان الامر بسيط غاية البساطة ..
ان مدير البنك ليس من طراز المجرمين العاديين .. ولهذا لم يستطع احد ان يضبطه متلبسا بجريمة .. رغم

الجرائم العديدة التي يخيل الى انه ارتكبها ..

لقد خشي هذا الرجل ان يسطو بعضهم .. او ان يسطو لوبين على الكنز الثمين فوضع المجوهرات المزيفة في حقيبة تركها في غرفة عمله .. اما المجوهرات الحقيقية فانه احتفظ بها في احدى الخزائن .. فلما ذهبت لزيارة البنك بعد منتصف الليل .. عثرت بصندوق المجوهرات المزيفة ففتحته وادركت الحيلة في التو واللحظة .. فعالجت الخزانة بطريقة خاصة .. واستطعت ان افتحها .. واخذت المجوهرات الحقيقية فوضعتها في الصندوق .. ونقلت المجوهرات المزيفة الى الخزانة . . وجئت في صباح اليوم متنكرا بزي مستر بليك .. ليس فقط لاعرض المجوهرات الحقيقية واحرسها .. وانما كذلك لاوقع بالمجرم واسلمه للعدالة .

وقد حدث في الصباح ان لاحظ مدير البنك اختفاء الصندوق من غرفة عمله .. فاطمأن الى ان الذى سرق لم يكن سوى المجوهرات الزائفة .

فحمل معه المجوهرات التي يعتقد انها الحقيقية ... وجاء الى هنا تنفيذا للخطة التي وضعها .. والتي يرمي بها الى الاستيلاء في النهاية على المجوهرات الثمينة .

فهل فهمت يا سيدتي ؟! ان الحادث يبدو غامضا . . ولكنه في الواقع بسيط مفهوم .

فلم تجب .

كانت راسها مثقلا .. فلزمت الصمت . . وقنعت باختلاس النظرات بين الفينة والفينة الى ذلك الشاب الجريء الغريب الاطوار .. الذى راح يحدثها عن جرائم السرقة والقتل كما لو كان يسرد قصة خيالية .

بيد انها كانت مصممة تصميما اكيدا على الا تدعه يفلت من يدها .

❊ ❊ ❊

انهى مدير المعرض الى مستر بليك المزعوم والى الآنسة ماريون ورجال البوليس السري المكلفين بحراسة مجوهرات الدوق نورفولك الاتفاق الذي تم مع ادارة البوليس للمحافظة على المجوهرات .

تم الاتفاق على عدم تعريض المجوهرات لخطر السرقة والسطو بنقلها ليلا الى خزانة البنك . فتقرر ابقاؤها في المعرض على ان تحاط دار المعرض بخمسين من رجال الشرطة .. وعلى ان تضاء قاعة المعرض ويقوم مستر بليك والآنسة ماريون بالحراسة ليلا بالتناوب .

وقد فكرت الآنسة ماريون في ان تقبض في الحال على لوبين ولكنها ترددت .. وخشيت ان يكون كل ما قاله لها حكاية مخترعة من اولها الى آخرها . . وان يكون الرجل الذى القى القبض عليه هو لوبين حقيقة .. فتصبح اضحوكة امام الجميع .

بيد انها حزمت امرها على ان تسهر على المجوهرات .. وترقب لوبين جيدا .. وتقبض عليه اذا قام باية محاولة لسرقة المجوهرات ..

قال لها لوبين عندما اقبل المساء :

ـ هل ثمة ما يمنع من ان اذهب لتناول طعام العشاء في بيتي ؟

ففكرت الآنسة ماريون قليلا ثم اجابت :

ـ كلا .. على الاطلاق .. فاذهب اذا شئت .. وسأقوم بالحراسة نيابة عنك حتى تعود .

وما كاد ينصرف حتى اسرعت ماريون الى احد رجال البوليس السري الذين وضعتهم ادارة الشرطة تحت امرتها وقالت له :

ـ انطلق في اثر مستر بليك .. وراقبه جيدا حتى

تعرف بيته ..

ــ حسنا ياسيدتى ..

وانطلق الرجل فى أثر لوبين .

* * *

اما لوبين فانه سار فى سبيله آمنا مطمئنا . فراح يستنشق الهواء ملء رئتيه بعد الجهود التى بذلها فى اليومين الاخيرين .

بيد انه لم يقصد توا الى داره .. بل عرج على احد مكاتب البريد .. واتصل تليفونيا بادارة الشرطة ودار بينه وبين المفتش ماكنزى الحديث التالى :

ــ آلو .. مستر ماكنزى مفتش البوليس ؟ حسنا .. انا لوبين .. هل القيت القبض على مدير الفرع الحادى عشر لبنك (جنوب لندن) ؟ الم تقبض عليه ؟ . انك مخطىء ياعزيزى ماكنزى ..

فالرجل مجرم عريق فى الاجرام ... الا ترى مثل رأيى يامستر ماكنزى ؟ اننى لا احب ان ادفع بانسان الى الجلاد .. ولكننى متى رأيت الجريمة بعينى رأسى .. فان الواجب يحتم على ان اتكلم .. وانا الآن اذكر لك ان مدير البنك قد قتل مستر بليك .. مندوب البنك . فهل يكفيك هذا التصريح ؟ تعتقد ان مستر بليك موجود الآن فى معرض المجوهرات .. ومعنى ذلك انه لا يزال حيا يرزق ؟ انك اعمى ياعزيزى ماكنزى .. فالرجل الموجود بدار المعرض ليس مستر بليك .. ولكنه لوبين . ماذا ؟ انت لا تصدقنى . لان لوبين مسجون الآن فعلا ؟ لاشك انك مجنون ياماكنزى .. فالرجل المسجون الآن ليس لوبين .. ولكنه مدير البنك .. الا تريد ان تصدق ؟ اذن فابحث ونقب .. واستفسر .. ثم صدقنى .. ولكن حذار ان تنهى الى الصحف نبأ القبض

على لوبين .. اذا فعلت ذلك فانك تعرض نفسك لسخرية الناس اجمعين .. والآن .. الى اللقاء ياعزيزى ماكنزى .

وقصد لوبين توا بعد ذلك الى منزله .. فوجد روجر ينتظره على احر من الجمر .. وتناول الاثنان طعام العشاء معا ..

وحاول روجر ان يعرف منه شيئا عن مغامرة ذلك النهار .. ولكن لوبين لزم جانب الصمت .

ولما فرغ من تناول الطعام .. عاد ادراجه الى دار العرض ليتناوب مع الآنسة ماريون حراسة مجوهرات دوق نورفولك .

* * *

وحول الساعة الثامنة ... قدم دوق نورفولك وخطيبته الى دار المعرض لمشاهدة تلك المجوهرات النادرة التى ستكون من نصيبهما عقب الزواج مباشرة .

وكانت الفتاة على جانب عظيم من الجمال ..

ولكن لوبين لاحظ على وجهها الجميل مسحة حزن وأسى ..

وكان مدير المعرض فى استقبال الدوق وخطيبته .. فقدم اليهما مستر (بليك) مندوب البنك .. وشكر الدوق المندوب على عنايته وسهره ثم شرع يتأمل المجوهرات .. ويرشد خطيبته الى القطع التى اختارها لتكون هدية لها .

بيد ان لوبين ما لبث ان لاحظ ان الفتاة لا تلقى بالا الى المجوهرات التى ستؤول اليها عما قريب وبينما الدوق وخطيبته يتأملان المجوهرات اذا بشاب يلحق بهما .. فنظرت ماريون الى الشاب فى ارتياب .. ولكن الدوق اومأ نحوه برأسه . وقال :

ــ انه سكرتيرى ..

ولاحظ لوبين أن الليدى ويدمور (خطيبة الدوق) تتبادل مع السكرتير الشاب نظرات طويلة حزينة .. فلم يتمالك من الابتسام .. وقال يحدث نفسه :

— ان أكثر الرجال لا يبصرون ..

ان هذا الدوق الاعمى لا يستطيع ان يلاحظ ان خطيبته مدلهة بحب سكرتيره ..

وارسل بصره الى السكرتير مرة اخرى .. وعندئذ خطر له خاطر ...

قال يحدث ماربون :

— ارجو المعذرة يا آنسة .. ان لى شأنا مع هذا الشاب .. فاهتمى بحراسة الجوهرات وحدك ..

فأومأت برأسها موافقة ..

قال لها لوبين :

— الم تلاحظى ان الدوق ممتقع البشرة ؟!

ان الذين يعودون من رحلة فى الهند تكون بشرتهم عادة برنزية اللون ..

قال ذلك ثم لحق بسكرتير الدوق وقال له فى صوت خافت :

— عفوا يا سيدى .. يخيل الى انى اعرفك .. فهل رايت هذه الصورة ؟!

واخرج من جيبه صورة فوتوغرافية صغيرة عرضها على الشاب .. فتأملها قليلا . ثم قال :

— طبعا .. هذه صورتى .. فاين وجدتها ؟!

وادار الشاب الصورة .. وقرا ما هو مكتوب فى باطنها ...

ثم امتقع وجهه . وهتف فى انفعال شديد :

— انى اسالك اين وجدتها ؟ انها صورتى .. وفى باطنها

ية اهداء منى الى ابى ..

— لقد كانت هذه الصورة مع ابى .. فاين هو ؟.. اين وجدتها ..

— الم تقابل اباك منذ مدة ؟

— لقد انقطعت انباؤه منذ شهر . وقد بحثنا عنه طويلا لم نقع له على اثر .. وكل ما علمناه انه سحب امواله الطائلة التى كانت مودعة فى بنك (جنوب لندن) واختفى ..

ففكر لوبين لحظة ثم قال :

— يؤسفنى ان اقول لك ان والدك ذهب ضحية مدير الفرع الحادى عشر للبنك المذكور .. لقد وجد رجال البوليس جثة ابيك فى قبو البنك .. وتصادف انى كنت هناك .. فعثرت بهذه الصورة فى جيبه قبل أن يفتشه رجال البوليس .. وكانت كل الدلائل تدل على انه قتل حديثا .. ومعنى ذلك أن مدير البنك لابد قد استولى على امواله بطريقة ما ثم سجنه ، وقتله به اخيرا .

فاشتد شحوب وجه الشاب .. وتقابلت عيناه بعينى الليدى ويدمور مرة اخرى . واطرق كل منهما برأسه .

ولاحظ لوبين تلك النظرة .. وشعر السكرتير ان لوبين قد لاحظ .. فقال فى همس :

— بحق السماء .. ارجوك ان تلزم الصمت .. ولا تحدث احدا بما رايت .

ففكر لوبين لحظة ثم قال :

— كن مطمئنا .. انى ادرك حقيقة موقفك .. انك لم تقبل هذه الوظيفة الا بسبب اختفاء ابيك . وفقدان ثروته . اليس كذلك ؟!

— نعم ..

— اذن فانى انصح لك بان تبذل جهدك وتحول بين

دوق نورفولك والاقتران بالسيدة التى تحبها . . وسوف تجد فى خير عون لك . .

* * *

وانصرف الدوق وخطيبته وحاشيتهما اخيرا .. وبقى لوبين والآنسة ماريون فى الحراسة ..

واخذت ماريون تحصى الساعات بفارغ الصبر فى انتظار ان تبزغ شمس الصباح لتوقع بهذا المحتال الذى دوخ المفتش ماكنزى والمفتش تيل .

قالت تحدثه :

ـ هل تنوى الاستيلاء آخر الأمر على المجوهرات ؟

فابتسم واجاب :

ـ بغير شك ..

ـ اذن فثق انى لن اتردد فى اطلاق النار عليك عند اول محاولة .

ـ ولكنى نزعت الرصاص من مسدسك ايتها الحسناء .

فصاحت :

ـ تبا لك ..

وبحثت عن المسدس لتتأكد من صدق كلامه . .

وفى هذه اللحظة .. انطفأت الأنوار الكهربائية فجاة ..
وسمعت ماريون صوت لوبين وهو يصيح :

ـ حذار يا آنسة ..

ودوى فى المكان طلق نارى .. ثم احست ماريون باصابع قوية تقبض على عنقها .. فأرسلت صرخة مختنقة ..

وسمع الحراس دوى الطلق النارى فهرولوا الى داخل القاعة ..

وساد الاضطراب .. فانتهز لوبين هذه الفرصة .. واختطف المجوهرات .. ودسها فى جيوبه .. ولاذ بالفرار

ا ماريون تناضل العدو الخفى الذى اطفأ الأنوار واطلق صاص ، وهجم عليها ...

* * *

استقل لوبين سيارة أجرة .. وقصد بها توا الى قصر ك .. وطلب مقابلة السكرتير ..

ولم يعرفه السكرتير اولا .. ولكنه عاد فتذكره فقال له :

ـ هل اعددت العدة للفرار مع الليدى ويلمور ؟

فاحمر وجه الشاب . وسأل :

ـ وكيف علمت ذلك ؟

ـ اننى أعلم كل شىء .. ولكن من المؤكد انك لا تملك ل اللازم لانقاذ خطتك .. اليس كذلك ؟؟

ـ نعم ..

ـ ان فرارك مع الليدى سينقذها من هموم كثيرة .. وما دامت تحبك وتمقت زوجها فمن العدل ان تقترنا .. جئتك بالمجوهرات التى وعد الدوق بان يهديها الى خطيبته .. فخذها .. وقدمها اليها .. واليك كذلك حزمة الأوراق المالية .. سوف تساعدك على انقاذ مشروعك .

وهم لوبين بالانصراف .. فلحق به السكرتير الشاب وهو يصيح :

ـ ولكن هذا كثير يا سيدى .. هذا كثير .. انك لتنى من اسعد الرجال .. فكيف اشكرك ..

وهم لوبين بان يتكلم .. ولكنه سمع فى هذه اللحظة رخة مزعجة .. جعلت الدم يجمد فى عروقه ..

تراجع مذعورا .. ونظر الى السكرتير متسائلا .. قال :

ـ ما هذا الصراخ المزعج ؟؟ يخيل الى انه صراخ حيوان معذب .

— نعم ... انها صرخة مزعجة تتكرر مرارا أثناء الليل .. يقول الدوق انها روح احد اجداده تهيم فى انحاء القصر ولا تطمئن الى مكان ..

فهز لوبين كتفيه . وهم بالانصراف .. ولكنه سمع فى هذه اللحظة جلبة شديدة فى فناء القصر . فاطل من احدى النوافذ .. وتراجع الى الوراء مقطب الحاجبين ..

هتف قائلا :

— رجال البوليس ..

فقال السكرتير فى جزع :

— ماذا يريدون ؟

— انهم يبحثون عنى .

— من انت ياسيدى ؟

— ان اسمى لا يهمك .. ولكن لى مع رجال البوليس حسابا اكبر الظن انهم يريدون تصفيته ..

وفهم السكرتير .. فامسك بساعد لوبين وقال له :

— اتبعنى .. ساجد لك مخبأ ..

وهبط به نصف درجات السلم . وعرج على باب جانبى .. وهبط سلما آخر .. وانتهى الى باب القبو . قال :

— تستطيع ان تعالج باب هذا القبو .. وتختبىء فيه .. حتى ينصرف رجال البوليس .

وتركه وانصرف .

وبقى لوبين وحده .. فارهف اذنيه . وسمع وقع اقدام رجال البوليس وهم يصعدون ويهبطون . فشرع فى معالجة باب القبو .. حتى تمكن من فتحه .. ومن ثم نفذ الى داخل القبو ..

وانه يهم بغلق الباب .. اذا بتلك الصرخة المزعجة تنبعث

وفيما يلى الحديث الذى سجلته آلة التقاط الاصوات على الاسطوانة :

« — هذا عمل باهر ياليو .. اراهن على انها تساوى اكثر من المبلغ الذى ابتاعه بها اوبنهايم .

فاجاب صوت آخر غير معروف لتيل :

« — بالجهنم .. كانت المهمة سهلة بسيطة . وجرت الامور فى السبيل الذى رسمته لها من قبل .. ولكن كيف ستعمل على الصاق التهمة بالشاب الذى حدثتنى عنه ؟

« — ذلك امر هين ميسور . فستحمله الفتاة على الذهاب الى محطة فكتوريا لاحضار طرد صغير هناك .. ثم تطالبه بموافاتها فى مكان معين ساحدده لها .. اننى على تمام الاهبة لاقتناصه .

« — لا احسبك ستجازف باعطائه كل المجموعة ؟

« — لا تكن احمق .. ساضع منها فى الصندوق مايكفى لالصاق التهمة به .. فاذا ما قبض عليه امكن وضع بقيتها فى مكان معين والعثور عليها »

كادت عينا كوربو تبرزان من محجريهما .

وصرخ بجنون : هذه مكيدة مدبرة .. فقد عبأت هذه الاسطوانة امس أثناء قيامى بدور تجريبى فى احد الافلام .

فابتسم لوبين ابتسامة مؤدبة .. ثم مزق قماش المقعد ومد يده داخله واخرج حقيبة جلدية صغيرة بها من الجواهر ما يعادل مائتى الف من الجنيهات .

ثم غمغم بعطف :

— شد ما آمل ان تتمكن من تبرئة نفسك ياكوربو .

ونظر الى تيل نظرة ذات مغزى .. فتقدم هذا من مساعده ووضع يده على كتفه وقاده الى الخارج ..

((تمت))

من ظلام القبو وتدوى فى اذنيه .

صاح بلوره مرعوبا . واضاء مصباحه الكهربائى واجال الطرف حوله .

وعندئذ وقع بصره على منظر وقف له شعر راسه رعبا ..

راى مخلوقا عارى البدن ممزق الجسم .. اشعث الشعر .. ولكن تبدو على وجهه دلائل النبل ..

اقترب منه وهو يمشى مشية الخائف الوجل وساله :

ـ من انت ؟

ففتح ذلك المخلوق التعس فمه ..

وعندئذ لاحظ لوبين انه مقطوع اللسان ..

وفى ذات اللحظة . سمع لوبين دوى الرصاص فى الطابق الاعلى .. فايقن أن هناك معركة شديدة .. ولكن من هم ابطالها ؟

وانه فى حيرته .. اذا بالسكرتير يدخل القبو وعلى وجهه علامات الفزع .

هتف به السكرتير :

ـ اين انت ؟! ان الفرصة سانحة . وفى استطاعتك ان تلوذ بالفرار .. يا الهى ..

وذلك لان السكرتير راى ذلك المخلوق المشوه التعس . تجمد فى مكانه .. وصرخ :

ـ ما هذا ؟ من هذا ؟

ـ لا أعلم . انه صاحب الصرخات المزعجة التى تنبعث اثناء الليل ولكن صبرا .

ـ لا تقترب منه .

ـ يخيل الى انه غير مؤذ .

ودنا لوبين من ذلك المخلوق .. وقدم اليه ورقة وقلما . وقال له :

ـ من انت ؟.

فاختطف الرجل القلم . وكتب بسرعة : « انا دوق نورفولك الحقيقي » . وقرأ لوبين والسكرتير هذه الكلمات وهتف الأول :

ـ آه .. فهمت الآن .. لقد جاء رجال البوليس في البحث عن دوق نورفولك الزائف .. لابد ان احد رجاله هو الذي حاول السطو الليلة على المجوهرات في المعرض فاعتقله رجال البوليس وحملوه على الاعتراف .. ولكن ترى من هو دوق نورفولك المزيف ؟

ـ صه .. صه .. انهم يقتربون .. اهرب بجلدك ..

انصرف لوبين من القصر دون ان يفطن اليه احد . وقصد توا الى بيته . ولكنه ما كاد يقترب منه . حتى برز له (روجر) من احد الازقة وهتف :

ـ لا تذهب يا لوبين . ان رجال البوليس يحتلون المنزل .

فصعق لوبين وسأل :

ـ كيف ذلك ؟

ـ لقد جاءت قوة من رجال البوليس على رأسها فتاة . فحاصروا المنزل . وفتشوه . ولولا انني تظاهرت بأنني خادمك لما سمحوا لي بالانصراف .

فهز لوبين رأسه وهمس :

ـ قبحها الله تلك الشقية .لابد ان احد رجالها تعقبني دون ان اشعر .

وقد قرأ لوبين في صحف الصباح نبأ القبض على الدوق المزيف . وفهم من التفاصيل ان هذا الدوق المزيف كان منذ خمسة اعوام سكرتيرا للدوق . وكان يشبهه شبها عجيبا فتربص به واعتقله . وسجنه واذاع نبأ سفره الى الهند ثم اعلن عودته . دون ان يحدث سفر أو عودة . لان الدوق كان طول الوقت مسجونا .. وكان سكرتيره الشقي متواريا عن الانظار .. فظهر أخيرا باسمه . ومظهره وكان كل غرضه الاستيلاء على مجوهرات نورفولك .

القسم الثالث

مجوهرات فاندروود

كان المفتش كوريو رجلا مغمورا هيأت له الاقدار فرصا ذهبية فارتفع الى قمة المجد .. وصار اسمه ملء الافواه والاسماع .. وسما على اترابه ، وكسف نجمه المتلالىء نجومهم المغربة .. فامتلأت قلوبهم حقدا عليه .. وغيرة منه.

وقد احرز ذلك الرجل السعيد سلسلة انتصارات باهرة رفعته الى مصاف كبار رجال المباحث الجنائية فى سكتلانديارد .. وقد بدا انتصاراته بالقاء القبض على بعض عتاة المجرمين. وزجهم فى غياهب السجون .. وبذلك راح الناس يتحدثون عنه بوصفه « الرجل الذى لا يبارى فى ضبط الامتعة المسروقة » .

وقد اكسبه نجاحه العظيم فى هذا المضمار عطف شركات التامين عليه وتأييدها له .. فانتفخت جيوبه بالمكافآت التى اعلنت عنها تلك الشركات لاسترداد المسروقات . .

ولم يكن المفتش تيل راضيا عن مساعده كوريو .. ولكنه كان رجلا طيب القلب .. لا تمتد يده بالاذى والضر الى صحبه ومساعديه . فتغاضى عن كثير من هفوات كوريو . وتصرفاته غير اللائقة .. تاركا للايام مهمة اظهاره على حقيقته .

كان الغرور قد ملأ راس كوريو عقب انتصاراته الرائعة. فاستدعى اليه احد محررى صحيفة (بولدوج) . وافضى اليه بحديث طويل اثار عليه سخط زملائه ، وجعلهم يتحينون الفرص للقضاء عليه .

وقد نشرت الصحيفة الحديث .. وزينته بصورة المفتش كوريو وهو فى ثيابه الرسمية .

وفى صباح اليوم التالى لصدور الصحيفة اجتمع تيل بكوريو فى غرفة الاول .

وشرع تيل يصارح مساعده برأيه فى بعض ما تضمنه المقال من المسائل الهامة .. وكان تيل قد تأهب لهذا اللقاء ، ورسم خطوطا بالقلم الازرق تحت بضع فقرات من المقال .

وفيما يلى نص احدى هذه الفقرات :

«اذا سألتنى لم سمح لذلك الرجل المدعو ارسين لوبين بالعودة مرة اخرى الى انجلترا لاعجزتنى الاجابة ، فاننى لا اؤمن بالمجرمين الذين ينزعون الى الخير اكثر من ايمانى بوجود المجرمين التائبين . ولست ارى ما يدعو الى اهتمام سكتلانديارد بهذه الامور التافهة ولديها من العمل الجدى ما لو استطاعت اتمامه لضربت على ايدى العابثين بالامن والمستهترين بالقانون .. على انى استطيع ان اصارحك بأمر له قدره وخطره .. فقد حدثت عدة تغييرات هامة فى طرق البحث والاستنباط الجنائى مذ رحل لوبين عن انجلترا .. فاذا فرض وحدثته نفسه بالعبث مرة اخرى بالقانون فانه لن يتمكن من الحصول على النتائج الباهرة التى استطاع ان يظفر بها من الاعيبه وحيله السابقة » .

قرأ تيل هذه الفقرة .. كما قرأ فقرات اخرى غيرها .. بصوته الجهورى وكانت نبراته تشف عن الغضب والانفعال.

ثم قال معلقا بلهجة احد من السيف :

— لم اسمع بعد عن نبأ تقلدك منصب مدير البوليس .. ولكنى واد من اعماق قلبى ان اكون لك اول المهنئين .. فان رجلا فى مثل ثقافتك لجدير بمثل هذا المنصب السامى !

فهز المفتش كوريو كتفيه باستخفاف وقحة .. واجاب :

— لقد كنت اتحدث الى احد اصدقائى .. ولم يكن يدور بخلدى انه سيذيع حديثى فى الصحف .. بل انى بقيت جاهلا

به حتى اطلعت عليه فى الصحيفة ..

فقلب تيل صفحات الجريدة حتى وصل الى الصفحة رقم ١٦ .. ثم قرا فقرة أخرى كان قد رسم خطا ازرق تحتها :

« ان المفتش كوربو يختلف اختلافا بينا عن اترابه من رجال سكتلانديارد .. فهو رجل نحيف القامة . انيق الهندام . نافذ النظرات »

وضع تيل الصحيفة جانبا .. ونظر الى مساعده نظرة صارمة .. ثم سأله بلهجة باردة :

ــ احسب انك كنت تجهل ذلك ايضا ؟ !

فاحمر وجه المفتش كوربو .. ولاذ بالصمت ..

ورمقه تيل بنظرة الاستخفاف .. ثم هز كتفيه العريضتين .. وشرع يحدثه عن الغرض الذى اجتمعا من اجله .

حدثه عن لوبين ، وحياته الماضية .. واعماله الحاضرة ومشروعاته المحتملة فى المستقبل .. واسهب فى وصف نظراته .. وثيابه . وخلقه . وعاداته . وذكائه . وعقب بذكر بعض المغامرات الهامة التى اشتركا فيها معا .

وختم تيل حديثه قائلا :

ــ ينبغى ان تعلم ان لوبين لم يعد الى انجلترا ليقوم بمغامرات جديدة . انى اعرفه جيدا كما يعرفنى هو ايضا ، بل لعله ينفر من الالتجاء الى الاعيبه القديمة لعلمه انى له بالمرصاد . وان هذه الالاعيب لم تعد تجوز على .. وانى اصارحك بانه ما من امرىء غيرى يستطيع ان يقف امام لوبين وقفة الند للند .. فاذا جاز لاحد رجال سكتلانديارد ان يتحدث عنه الى مندوبى الصحف .. فانا هو ذلك الرجل .. وانا وحدى !!

تمهل كوربو ريثما تمر الزوبعة .. فلما انفثأ غضب تيل .. قال كوربو :

ــ انى واثق انك اكثر الناس دراية بهذا الموضوع يا سيدى .. فما زلت أذكر المعاونات القيمة التى قدمها لك لوبين فى بعض القضايا .

فاتقدت عينا تيل ببريق الغضب .. بينا استطرد مساعده قائلا بتواضع جم : مهما يكن يا سيدى .. فقد استخلصت لنفسى نظرية خاصة عن لوبين .

فهتف تيل مكررا كانما نطق الرجل بكلمة نابية يجفو منها السمع :

ــ استخلصت ماذا ؟

ــ نظرية يا سيدى .. ففى اعتقادى ان الخطأ الذى وقع فيه مطاردو لوبين ، مما جعله ينتصر عليهم ويجعلهم اضحوكة فى اعين الراى العام .. انما هو تلكؤهم فى مطاردته واقتناصه حتى ينتهى من تحقيق جميع اغراضه .. وعندئذ يهبون للايقاع به فتذهب جهودهم هباء .. انما الذى ينبغى ان يفعلوه هو ان يتكهنوا سلفا باحدى الجرائم التى الف ارتكابها . ثم يراقبونه بدقة . حتى اذا اقدم على انفاذ جريمته . اقتنصوه متلبسا . ولو شئت مثلا على ذلك فانى اقول ان الصحيفة الموضوعة فوق مكتبك تشتمل على مثل هذه الجريمة .. فقد قرات عنها هذا الصباح ..

فقاطعه تيل بحدة :

ــ اما زلت تتحدث عن نفسك ؟! لو فعلت .. ؟

فهز كوربو نفيا .. وقال :

ــ انى اقصد مستر اوبنهايم صاحب حوانيت الازياء المعروف .. فقد جاء فى الصحيفة ان هذا التاجر الكبير ابتاع مجموعة جواهر فاندروود بربع مليون من الجنيهات ليقدمها هدية زفاف لكريمته .. ولما كنا نعلم كيف حصل اوبنهايم على ثروته .. والمثل الاعلى الذى يضعه لوبين نصب عينيه ..

فعندى انه سيحاول ان يرتكب امـــرا فيما يتعلق بهـذه الجواهر ..

فهتف تيل ساخرا :

ـ يا للعجب .. اتحسبه من البلاهة بحيث يقــدم على عمل يدل على قصر النظر كى يقع فى شرك رجل مثلك سقيم التفكير !

وتنهد .. وقد افصحت عيناه عن ابلغ معانى السخرية . ثم استطرد :

ـ عد الى عملك .. فقــد بلغنى ياكوربو ان المراقبين الصحفيين يحاولون عبثا العثور على شـــحنة من المربى الفاسدة يحاول بعض التجار تصريفها فى السوق ..

ولو لم يكن مستر تيل مغيظا من مساعـدة حانقا عليه . لادرك لاول وهلة ان حديثه ينطوى على ركن منطقى سديد .. ولكن الغضب اعماه ، ومال به عن تقرير مافى قول صاحبه من حكمه .. فما انقضى يومـان حتى نسى كل شىء عن هـذا الحديث . ولم يحسب حسابا لما قد ينجم عن تدخل لوبين فى شئون مستر اوبنهايم ..

* * *

والى الظروف فقط يرجع اشتباك لوبين مـع مستر اوبنهايم فى اولى مغامراته انه بعد عودته الى انجلترا ..

ففى احدى الليالى كان لوبين عائدا الى منزله فى ساعة متأخرة .. وانه لسائر فى احدى طرقات سوهو شـــبه المهجورة ، اذا اصطدم بجانيز ديكسون فترنحت الفتاة .. وتمايلت وكادت تسقط لو لم يخف لوبين الى اسنادها .

وغمغمت الفتاة باعياء : انى آسفة .

فأجابها لوبين ببضع كلمات مناسـبة .. واوقفهـا على قدميها .. ولكنه احس بثقل جسمها فوق ذراعيه . وحين

تنحى عنها . ترنحت مرة اخرى . وكادت تسقط فمدت يدها وقبضت على ذراعه وتشبثت بها .

وعادت تقول وهى شبه غائبة عن وعيها : انني آسفة !!

فحسبها ثملة .. ولكنه سرعان ماادرك خطأ ظنه .. فقد كانت انفاسها خالية من رائحة الخمر .. وحينئذ تبادر الى ذهنه ان الحادث مفتعل من اساسه وانه ليس الا مقدمة لها مابعدها .. ولكنه اذ انعم النظر الى وجهها . ايقن انها غير مخادعة ولامحتالة

كان وجهها جميلا .. ولكنه شديد الامتقاع حتى ليحسبه الانسان وجه احد الاشباح .. تحيط بالعينين هالتان سوداوان .. وبالوجنتين عظمتان ناتئتان اعلا الفكين .. واما الشفتان فليس عليهما اثر لطلاء .

سألها لوبين : هل من شىء يؤلمك ؟

ـ كلا .. ليس بى من شىء غير اعياء ونصب .. وحسبى دقيقة استعيد فيها هدوئى .

ـ اذن هلمى بنا الى احد المشارب ريثما تستعيدى قواك .

وانطلقا الى مشرب صغير .. وكان الاجهاد والتعب باديين على الفتاة حتى لقد تعذر عليها السير . فقدم لها لوبين ذراعه .. وحينئذ خيل اليه انه عثر على الايضاح المنشود لسلوك الفتاة وحالها .

وجلسا الى منضدة منعزلة .. وطلب لوبين قدحين من القهوة .

ثم قال لصاحبته :

ـ دونك الطعام . فاطلبى منه حاجتك .

فلمعت عيناها ببريق الابتهاج .. وعضت على ناجذيها ثم اجابت :

نعم .. انى بحاجة ماسة الى شىء منه .. ولكنى لا املك ثمنه .

ـ دعك من التفكير فى الثمن .. فما زالت معى بقية من المال تكفى للانفاق هذه الليلة .

وجيء لها بما طلبت . وراح لوبين يرمقها وهى تلتهم طعامها بشراهة وسرعة .. دون أن تنبس ببنت شفة .

فلما اصابت من الطعام حاجتها قال برفق :

ـ بودى لو كانت لى مثل شهيتك .

فابتسمت .. وكانت ابتسامتها تشف عن الاعياء .. ثم قالت :

ـ انى لم اذق شيئا منذ يومين .. ثم اننى تدر ان اصيب كمية كبيرة من مثل هذا الطعام الفاخر دفعة واحدة ..

وفيما كانا يحتسيان القهوة .. اخذ لوبين صندوق لفائفه من جيبه .. وقدمه للفتاة فتناولت لفافة اشعلتها .

ووضع لوبين ساقيه فوق المنضدة .. ومال الى الخلف فى مقعده ..

وحينئذ صارحته الفتاة باسمها .. ولكنه رأى التريث والانتظار . فلم يعقب بذكر اسمه .

وسألها بهدوء : امتعطلة انت عن العمل ؟

فهزت رأسها .. واجابت :

ـ لا .. فما زلت اجيرة عند احد اصحاب الحوانيت .

فرفع لوبين حاجبيه دهشا .. وابتسمت الفتاة لما عراه من الارتباك .. واستطردت : انى اعمل فى حانوت اوبنهايم .

ـ لعله لا ينقدك اجرك اذن ؟

ـ بل هو رجل يوفى اصحاب الحق حقوقهم .. ولكن لعلك لم تسمع بامره من قبل .. اننى صانعة ازياء .. ولى زميلات اخريات يبلغن الخمسين وكلنا نعمل فى طابق علوى باحد منازل الوست اند . فنحيك الثياب النسائية الداخلية وتمضى عشر ساعات فى العمل كل يوم . فمن ظهرت على

زميلاتها واصابت هوى فى نفس كبيرة العاملات منحت شلنا عن كل يوم .. واما الفتاة العادية فلا حظ لها غير نصف حظ اختها العاملة المجدة النشيطة .. ويباع الثوب مما تخرجه ايدينا بجنيه على الاقل .. فى الاسبوع المنصرم بلغ مجموع اجرى اثنى عشر شلنا . ولكنى كنت مرغمة على وفاء اجر غرفتى ..

كان ذلك الحديث اول خطوة دفعت بلوبين الى زيارة حانوت ازياء مستر اوبنهايم .. ولم تكن هذه الزيارة لمجرد التفرج على المعروضات او ابتياع شيء منها .. فقد شرع لوبين من فوره فى التغلغل فى اقتصاديات الحانوت .. حتى لقد استطاع ان يعرف كم يتكلف الثوب الواحد على صاحبه وقيمة الربح الذى يجنيه من كل ثوب .. فتبين له مدى الصحة فى كلام جاينز ديكسون .. وتفتحت عيناه فادرك مدى تغافله وتغاضيه عن امثال مستر اوبنهايم .

وفى الليلة التالية اجتمع لوبين بالفتاة فى احد المشارب .

وابتدرها بقوله :

ـ كيف تقبلين العمل بمثل هذا الاجر التافه ؟ فما احسب أن انسانا محترما يستطيع العيش على هذا المبلغ الضئيل .

ـ وهل غاب عنك ياسيدى ان فتيات كثيرات يتمنين مثل هذا العمل اذا عز عليهن الحصول على غيره ؟ لقد كنت اصيب ثلاثة جنيهات فى الاسبوع لقاء عمل يماثل عملى الحالى ولكنى مرضت اسبوعين . فاتخذ اصحاب الحانوت من مرضى ذريعة لفصلى .. ومن لم قضيت ثلاثة شهور عاطلة عن العمل فلما عرض على هذا الاجر قبلته مكرهة خشية الموت جوعا . وروضت نفسى على التقتير .. واحتمال الجوع والحرمان .. لاتمكن من شراء بعض الثياب ووفاء ثمن العقاقير التى فرضها

على الطبيب .. واذ مضت عدة اسابيع عجزت عن دفع اجر الغرفة التى اقطنها . وتجمدت المبالغ . حتى لقد يئست من الحصول عليها .. ووفائها .

فقال لوبين :

ــ يخيل الى اننى سمعت عن مستر اوبنهايم من قبل اليس هو الرجل الذى دفع ربع مليون من الجنيهات ثمنا لمجموعة من الجواهر ؟

فارتعشت شفتاها دلالة على التهكم .. واجابت :

ــ انه هو بعينه .. ولقد رايت هذه الجواهر يوم عهد الى بحياكة ثوب لابنته .. فانى ابز بقية العاملات فى فنى .. ولست اكتمك اننى اعجبت ايما اعجاب بتلك المجموعة النادرة من الجواهر .. وتمنيت لو انها كانت لى .

فقال لوبين وهو لايزال مستغرقا فى التفكير :

ــ تقولين انك ذهبت الى منزله ؟ وانك رايت الجواهر ؟

وامسك .. وراح يدخن هنيهة ، وقد عقد ما بين حاجبيه متأملا .

وحين التفت اليها ثانية . كان وجهه جامدا لا ينم عما يجيش بصدره .

وسألها فجأة : اين ستقضين ليلتك ؟

فهزت كتفها .. وأجابت :

ــ لست أدرى .. فقد قلت لك انى مدينة لصاحب الدار بأجر ثلاثة اسابيع . ولا احسبه سيسمح لى بدخوله مالم أوف الاجر .. والراى عندى ان اقوم بجولة على شاطىء نهر التايمز ، لعلى اعثر على بقعة صالحة للنوم .

فابتسم لوبين .. وقال بصراحة :

ــ انها نومة صحية .. ولكن الطقس رطب الليلة .. اصغى الى . ما رايك فى ان ننطلق الى مكان هادىء على

مقربة من هنا ، فاستأجر لك منه غرفة صغيرة ؟ ان المكان هادىء ونظيف . ثم انى لا اقيم به .. كل ما ابغيه انما هو ان افعل شيئا من اجلك .. وغدا نتقابل لنتناول طعام العشاء ! ولنتحدث معا فى موضوع الجواهر .

* * *

وقد التقيا فى مساء اليوم التالى .. فقصدا الى مشرب هادىء .. وانتحيا ركنا قصيا .. وشرعا يتحدثان .

وما هى الا ثوان حتى احاط لوبين بكل ما كان يريد الاحاطة به .

قالت الفتاة :

ــ ان الجواهر فى مكتبة اوبنهايم ، فى الطابق الاول من المنزل . وغرفة ابنته ملاصقة لغرفة المكتبة ، ويفصلها عنها جدار غير سميك .. ولقد رايت مستر اوبنهايم يعرض الجواهر على ابنته أمس .. وسمعته يقول انه لا يودعها خزانته السميكة فى المكتبة لانه لجأ الى حيلة شيطانية لاتخطر على بال ادهى اللصوص واشدهم ذكاء .. وقد افاض مستر اوبنهايم فى شرح خطته وما تنطوى عليه من خبث وحذق قال : ان اول مايخطر ببال الباحث عن الجواهر اننى احتفظ بها فى الخزانة . وعلى هذا الاساس يبدأ عمله وهذا يقتضيه وقتا طويلا ومجهودا جبارا .. يهيىء لنا كثيرا من الفرص لاقتناص مثل هذا اللص الاثيم .. ومهما يكن ، فلو انه نجح فى فتح الخزانة لأصيب بفشل ذريع ، ولضاعت جهوده هباء فما من انسان يستطيع ان يصدق اننى احتفظ بجواهر تقدر قيمتها بربع مليون من الجنيهات خلف بعض المجلدات المرصوصة فوق الارفف .. حتى البوليس السرى الخاص الذى استخدمته لحراستها يجهل تلك الحقيقة . وكل مايعرفه ان عمله ينحصر فى المحافظة على الخزانة من عبث اللصوص .

فقال لوبين :

ـ اذن فقد استأجر مستر اوبنهايم احد رجال البوليس السرى الخاص لحراسة الخزانة ؟

ـ نعم .. انه رجل من مكتب انجربك .. وهو يذهب الى الدار فى السابعة من مساء كل ليلة . ويبقى فى المكتبة حتى يستيقظ الخدم فى الصباح وفى الدار ساقى خشن المظهر سيء المخبر . لعله وحده يكفى لدرء خطر اللصوص والطامعين فى الاستيلاء على جواهر فاندروود . وهذا الرجل هو الذى يتولى الاهتمام بامر هذه المجموعة اثناء النهار . ولكن اخبرنى لم تستقى كل هذه المعلومات ؟

ـ لشغفى واهتمامى بقصص الجواهر فحسب :

فلمعت عيناها ببريق الادراك .. وحدجته بنظرة تنطوى على الصراحة .. ثم سألت :

ـ اهذا ما كنت تعنيه من قولك انك تريد ان تفعل شيئا من اجلى ؟ الا تظن انه فى استطاعتك ان تسدى الى احدى الخدمات اذا امكنك الحصول على الجواهر ؟

اشعل لوبين لفافة تبغ جديدة بيد ثابتة متمهلة . وادار عينيه الزرقاوين الى الفتاة بمنتهى الهدوء قبل ان يجيب عن سؤالها .

وقال : هذا ما كنت افكر فيه فى الواقع .

فلم تذعر او تجفل .. وراحت ترمقه بنظرة جدية رزينة كانما كانا يتناقشان فى امر مستقبلها والعمل الجديد الذى تستطيع الحصول عليه .

ثم قالت بلهجة رقيقة :

ـ لكم يسرنى لو استطاع انسان ان يجرد ذلك الصعلوك من كنزه الثمين .. مثل هذا الرجل جدير بالاعجاب والتكريم ولست اكتمك اننى على استعداد للقيام بهذا العمل لو ان بوسعى اتمامه .. اخبرنى ، هل سبق ان .. سرقت ؟!

فقال لوبين بصراحة ، وتواضع :

ـ نعم .. لطالما طرقت هذا الباب .. ولعلك قرات عنى فى الصحف فانا ادعى ارسين لوبين .

فحملقت الفتاة فى وجهه دهشة غير مصدقة .. وهتفت :

ـ انت ! انت ارسين لوبين ؟! الا تريد التغرير بى ؟!

واستحالت نظرتها الدهشة الى اخرى فيها بريق التصديق واستطردت :

ـ ولم لا تكون ارسين لوبين ؟ لقد رايت احدى صوره ذات مرة . لو انى واثقة من انك لوبين حقيقة لاستطعت ان امد اليك يد المعونة فى القضاء على هذا الوغد اوبنهايم ولكن بعد ذلك ما يكون .

ـ ثقى اننى هو بعينه .. ففى استطاعتك اذن ان تمدينى بكل الدقائق التى تذكرينها عن خدم منزل اوبنهايم ، واعمالهم وكيفية قيامهم بتلك الاعمال .

ولما كانت الفتاة قد ترددت على دار مخدومها مرات عديدة .. فقد اجابته الى طلبه .. وذكرت له كل نافع من المعلومات التى ينشدها .. وقد اقبل لوبين على الفتاة بكليته واصغى اليها باهتمام .

وانقضت ساعتان على هذا الحديث . ثم غادر لوبين ورفيقته المشرب الى احد المراقص .. حيث اندمجا مع الراقصين والراقصات وراحا يدوران فى ارجاء القاعة متحاضرين لاهيين عن كل ماحولهما . وانهما لكذلك ، اذ خطرت للوبين فكرة طارئة وجد فيها الحل الذى ينشده . وحين عادا الى منضدتهما عقب الرقص . اشعل لوبين لفافة تبغ .. ثم قال بحدة :

ـ لقد فكرت فى حل بسيط ملائم .. وهذا الحل سيمكننى من الاستيلاء على جواهر الاخ اوبنهايم .

ـ وكيف ذلك ؟

ـ سمعتك تقولين انهم يعهدون الى احد رجال انجربك

بحراسة المكان اثناء الليل .. ولا ريب ان الخدم يقدمون للحارس طعام الافطار عندما يستيقظون من نومهم .. فاذا اصاب الرجل حظه من الطعام انصرف لشانه . اليس كذلك ؟ هذا بديع فى استطاعتى اذن ان أؤدى هذا الواجب نيابة عن حارس انجريك ، وذلك نظرا لمرض مفاجىء الم به .. او مصيبة داهمته .. او مركبة مرت فوقه .. او ما شابه ذلك مثلا .

ففغرت الفتاة فاها دهشة واعجابا .. وصاحت :

ــ ولكنه عمل ينطوى على اشد الخطر .. فهل تستطيع ان تقوم به ؟

ــ بالتاكيد .. فانا رجل اكره مستر اوبنهايم ولو انى لم اره من قبل .. ثم ان مبلغ ربع مليون من الجنيهات يسيل اللعاب بغير شك .. ولما كان مستر اوبنهايم رجلا سيء التصرف لا يحسن استخدام مثل هذا المبلغ الضخم فى مشاريع قيمة كالتى تدور بخلد شخص مثلى .. فاننى ..

ــ ولكن متى ستقدم على سرقة الجواهر ؟

ــ فورا .. او على الاقل فى هذه الليلة .

وامسك .. فقد ادرك انه قد شطر . فمن الجنون ان يندفع فى حديثه بمثل هذه الصراحة مع فتاة مهما كان شانها فانها ما زالت غريبة عنه .

واستطرد بعد هنيهة :

ــ اخشى أن يكون فى التعجيل بالعمل جر للمتاعب .. ومن المحتمل أن يقتضينى انفاذ هذه الخطة انتظار يوم او يومين ريثما اتمكن من الحصول على بعض المعلومات عن مندوب مكتب انجريك .. ومن ثم افكر فى الطريقة التى تخلصنى من مضايقته ليلة زيارتى لمنزل مستر اوبنهايم .. اذن فلنجعل يوم الجمعة موعدنا .

فاومات براسها فى حركة ساذجة بريئة .. وقالت :

ــ هذا اوفق .. يخيل الى انك واثق من النجاح . فان ابهجنك تشف عن ذلك .. لكن ما الذى ستفعله بالجواهر بعد استيلائك عليها ؟

ــ سابيعها ما فى ذلك من ريب .

ــ لا أظن انك ستوفق الى بيعها بالسهولة التى تتصورها

ــ بل ساوفق فهناك سبل وطرق تذلل اية عقبة قد تعترض البيع .

ــ لا اظن ذلك .. بل انا واثقة انك ستعجز عن التخلص منها .. فكل قطعة من مجموعة مشهورة كهذه تفضح بائعها وسارقها معا .. فلو انك عرضت قطعة من المجموعة على احد تجار المجوهرات لعرفها من فوره . والقى القبض عليك .

فابتسم لوبين وقال :

ــ هناك فى شارع بوند حانوت صغير يستطيع الانسان ان يلجا اليه من الساعة السادسة الى الساعة الثامنة مساء كل ليلة اذا اعجزه بيع اى قطعة من الجواهر ولو كانت من جواهر التاج نفسه ، فلو انى استطعت ان استعير جواهر اوبنهايم ليلة الجمعة . ففى استطاعتى أن اتخلص منها مساء السبت على اكثر تقدير .. ومن ثم نتقابل للاحتفال بهذا الفوز المبين .. ونتحدث عن اجمل بقعة نذهب اليها حيث تقضين اجازتك فى هدوء وسعة من العيش .

وفيما كانا يسيران عائدين الى منزلها . راح لوبين يتحدث اليها بمرح وطرب . ولا عجب . فقد كان ذلك شانه حين تختمر احدى الخطط فى راسه . ولا ينقصها غير التفاصيل والدقائق .. التى سرعان ما تثب الى مخيلته وتسد النقص كما لو كانت مقذوفات انطلقت من بنادق قوية .

وقد طغى عليه شعور الغبطة والمرح .. حتى لقد نسى انه ترك الفتاة دون ان يقنعها بقبول بعض المال تسد بها حاجياتها الضرورية .. او يتفق معها على موعد للقائهما التالى

فعاد ادراجه الى منزلها .. فى خطى سريعة خفيفة ..

ومن عجب ان الصدفة التى طالما غيرت مجرى حياته بشكل غير مألوف ولا معقول هى التى خفت الى نجدته فى تلك الليلة . ومهدت له السبيل لتفادى نكبة ماحقة كانت تدبر له فى الخفاء .

* * *

كانت ردهة الدار ضعيفة الضوء ، تقوم على جانبيها اوعية كبيرة غرست بها اشجار كثيفة تمكن القادم من الخارج من الاحتجاب عن انظار الموجودين بالداخل .. ولما كان ارسين لوبين رجلا حريصا بطبعه ، فقد نفذ من الباب الخارجى الى الردهة بهدوء وحذر .. وهم بتخطى سياج الاشجار الكثيفة حين سمع شخصا يتكلم فى الردهة .. وتناهى الى اذنيه اسم جعله يجمد فى مكانه مصعوقا .

فقد سمع اسم كوربو يتردد على لسان هذا الشخص .

وبقى لوبين ملازما مكانه ، لايتحرك ولا يطرف .. واصاخ السمع لحديث شيق كان دائرا بين شخصين .. فلما سمع ما فيه الكفاية تسلل بهدوء من الدار وسار الى منزله بخطى متزنة دون أن يفكر فى العودة الى جانيز ديكسون ثانية .. لانهماكه فى التفكير فى الحديث الذى سمعه خلسة منذ هنيهة

ولو قد عرف المفتش كوربو بما كان من استراق ارسين لوبين السمع لذلك الحديث الهام ، لفارقه هدوؤه وثبات جنانه .. ولكنه كان جاهلا بذلك ، فملأه الغرور بنفسه ، ومغالاته فى تقدير مواهبه الخاصة ، فلم يقم وزنا لاية عقبة أو صعوبة قد تعترض سبيل الخطة التى كان يرسمها للايقاع بغريمه العنيد

فاذا كان يوم الجمعة بعد الظهر ، التقى كوربو برئيسه المفتش تيل .. وكان الاول على حاله من الغرور والمغالاة فى الثقة بنفسه .. واستطاع ان يقنع تيل بوجاهة رايه ...

وارغمه على مجاراته فى السبيل التى عول على سلوكها .

قال تيل : اكبر ظنى ان اوبنهايم ما زال محتفظا بجواهره

فلم تختلج عضلة واحدة فى وجه المفتش كوربو . واجاب :

— لا تدهش اذا علمت انها لن تبقى فى حوزته طويلا .. ولا تلومنى اذا ظفر لوبين بها ما بين لحظة واخرى . فحسبى انى انذرتك مرة . فرفضت الاصغاء ..

فقال تيل مؤمنا :

— نعم .. انك انذرتنى من قبل .. لكن متى سترحل الى هوليوود لتقوم بدور شرلوك هولمز ؟

فقال كوربو بتجهم وعبوس :

— من يدرى ؟! لعلنى لا اتأخر طويلا . فان شركة باراجون قد اولتنى شيئا من اهتمامها .. واتفق ان رآنى احد وكلائها وانا العب الدور الرئيسى فى آخر مسرحيات برندر ، فأعجب بى ، وعرض على ان يحضرنى امام الكاميرا ، فرفضت مؤقتا

فكشر تيل عن ناجذيه .. وقال متهكما :

— احقا . ولكن ما رايك فى انهم بداوا فى تصوير مناظر قصة « المرآة الصغيرة » وعلى هذا لا احسبهم سيعهدون اليه بالاشتراك فيها .

ولكن سرعان ما ندم تيل على بعض هذه الملاحظات القاسية فى صباح اليوم التالى ، حين بلغه نبأ اختفاء مجموعة جواهر مستر اوبنهايم .. فقد حملها الحارس المعين من قبل مكتب الجريك معه ، وانصرف بها فى هدوء وسلام ..

وحين اتصل مستر اوبنهايم بمكتب الجريك ، وروى لهم قصته المؤلمة ، اجابوه بانهم تلقوا بعد ظهر امس مكالمة تليفونية بوقف الحراسة ، وقدموا وثيقة كتابية بهذا الخصوص وصلتهم بعد مضى عدة ساعات على تلقى المكالمة التليفونية ، مدبجة بيراعة مستر اوبنهايم ومذيلة بما كانوا يعتقدون اعتقادا جازما بانه توقيعه .

ولقد ساء مستر انجريك تصرف مستر اوبنهايم ، حين اتصل به شخصيا وانحى عليه باللائمة .. ثم ساله عن عدد اللصوص الذين يستخدمهم فى مكتبه .. وما كان من تعقيبه بقوله انه سيعمل على الغاء « مكتب انجريك للصوص » ، على حد قوله .. فلما احتج مستر انجريك على هذه اللهجة المهينة ساله مستر اوبنهايم عما يعتزمون عمله لاسترداد الجواهر المفقودة ، فاجابه صاحب المكتب بأن هذا من شئون البوليس الرسمى ، وليس من شئونهم .

وما ان ابلغ نبا السرقة الى المفتش تيل حتى اسرع الى منزل مستر اوبنهايم ، وبرفقته المفتش كوربو .

ومن العبارات الملتهبة التى كانت تتدفق من فم مستر اوبنهايم ، استطاع رجلا البوليس ان يستخلصا الحقيقة ، ومجملها ان الحارس المزيف جاء الى الدار فى الساعة المحددة من مساء امس .. وقال ان الحارس المعين من قبل المكتب قد مرض فجأة . ثم ابرز الاوراق التى تجيز له ان يحل محله ومن ثم قاده الساقى الى غرفة المكتبة . وهناك قضى الليل وحده ، فاذا كان الصباح قدم له الخدم طعام الافطار حسب العادة .. وحين غادر الدار كان يحمل فى جيبه ثروة تقدر بمبلغ ربع مليون من الجنيهات .. دون ان يفطن احد الى ذلك .

وقد وجه تيل بضعة اسئلة للساقى .. واستفسره عن مميزات اللص .. ولكن هذا عجز عن مده بوصف دقيق نظرا لعدم ريبته فى الحارس ، ونواياه .

قال الساقى ان الرجل طويل القامة ، يضع عوينات زرقاء فوق عينيه ، وله شعر احمر غزير .

وتحول كوربو الى تيل .. وقال ساخرا :

ـ لاشك ان حديث العوينات والشعر الاحمر لاقيمة له فما هو الا شعر مستعار .. وانا واثق من ان اللص هو ارسين

لوبين ولا احد غيره فانت تستطيع ان تتلمس آثاره وطريقته فى العمل مما حدث .. الم اقل لك ذلك من قبل . فلم تصدقنى ؟!

فزمجر تيل قائلا :

ـ ماذا بحق الشيطان تعنى ؟ اتظننى جاهلا احمق ؟.

وانحسر عنه الغضب . بعد اعمال الروية والفكر .. ثم استطرد :

ـ مهما يكن من شيء . فانك مذهوب بك .. ولا اصبع للوبين فى الحادث . فهز كوربو كتفيه استخفافا .. وسال :

ـ أتسمح لى بتحقيق الحادث يا سيدى ؟

فاخرج تيل قطعة من (اللبان) وراح يلوكها بين اسنانه بغضب ووحشية .. ثم اجاب :

ـ من ؟ انت ؟! كلا .. اننى سأتولاه بنفسى .

ثم اتقدت عيناه فجأة .. واستطرد :

ـ حسنا .. مادمت تعتقد انك ملم باطراف الحادث .. مطلع على خفاياه ، فانى اسمح لك بأن تشترك معى فى البحث

وكان مستر اوبنهايم قد انحسر عنه الغضب قليلا فى تلك الاثناء . فتحول اليهم .. وهتف :

ـ ما رايكما ايها السيدان ؟ ما رايكما فى هؤلاء اللصوص فى شركة التامين اللعينة التى استولت على جميع اموالى .. لقد انذرونى منذ هنيهة بفسخ (البوليصة) متذرعين بسبب واه .. وهو اننى خالفت نصوص العقد ، وخبات الجواهر فى مكان غير المتفق عليه .. الا تبا لهم من حمقى لقد ظننت اننى استطيع الاحتفاظ بالجواهر بعيدا عن ايدى اللصوص ان وضعتها فى اى مكان آخر عدا الخزانة الحديدية .

فقاطعه مندوب شركة التامين قائلا :

ـ لقد خالف مستر اوبنهايم النصوص المتفق عليها فى العقد .. وهى تقطع بانه فى حالة ابقاء الجواهر فى المنزل ،

ينبغي وضعها في الخزانة على ان يتولى حراستها احد رجال البوليس السري الخاص ، ينتدب من مكتب موثوق به .. ولكن مستر اوبنهايم خرق نصوص العقد الصريحة ، ففي هذه الحالة . فصرخ اوبنهايم هادرا :

ـ هذا احتيال شائن !! ما شأني بشركة التأمين .. لابد ان افسخ جميع عقودي معها .. وعما قريب سأبتاع الشركة لحسابي واقذف بكم جميعا الى الطرقات لتهلكوا جوعا .. انني على استعداد لان اهب مكافأة ضخمة لمن يأتيني بالجواهر او يرشدني الى سارقها .. سادفع مائة .. اعني خمسة آلاف من الجنيهات لمن يعيد الى جواهري .

فاسرع المفتش كوربو وساله قائلا :

ـ هل سجلت هذه الهبة كتابة ؟

ـ لا .. ولكني سافعل ذلك في التو .. الا لعنة الله على هؤلاء النصابين !! سوف القنهم درسا قاسيا لا ينسونه مدى الحياة !

وتناول قلم المداد من جيبه .. وتقدم من المكتب ليحرر شيكا بالمبلغ محولا على مصرفه . فصاح تيل يستوقفه :

ـ مهلا لحظة !

ولكن اوبنهايم لم يعره التفاتا .. فاستدار تيل الى مساعده ، وقال :

ـ الراي عندي انه ينبغي اولا قبل ان تفكر في وجود المكافأة ان تطلعنا على مدى ذكائك ومهارتك الفذة .

ـ على رسلك ياسيدي .. على ان نبدأ بحثنا على اساس النظرية التي صرحت لك بها من قبل .. ثم انه من المتعذر ان يتخلص اللص من مثل هذه المجوهرات النادرة مع الحصول على ثمن يناسبها ويرضي جشعه .. واني اعرف مكانا واحدا في لندن يستطيع اللص ان يلجأ اليه ويحصل على بغيته من المال لقاء هذه المجموعة النادرة .

فصاح تيل بحدة :

ـ اذن لماذا لاتسارع بالقبض على السارق قبل ان يفر بثمن غنيمته الباردة ؟

ـ ذلك لاني لم احصل بعد على الادلة الكافية لادانته . ولكني واثق من اقتناصه متلبسا هذا المساء .

ولم يعبأ كوربو كثيرا بالتحقيق الرسمي الذي بداه تيل بعد هنيهة .. ولكنه عاد يلح ويلحف على رئيسه بالعمل طبقا لنظريته ، لثقته من سدادها وصوابها .

وقد عزز رايه هذا بقوله :

ـ وعلى فرض انه لادخل للوبين في الحادث ، فانني واثق من ان السارق سيلجا الى الحانوت الذي حدثتك عنه .. فينبغي الا نغفل هذه الحقيقة الهامة .. لست اجهل انك لا تقدر آرائي ولا تقيم لها وزنا ياسيدي .. ولكن امنحني هذه الفرصة ، فقد اكون مصيبا .. وحسبي شفيعا لديك ما اظهرته الايام من صدق افتراضي السابق الذي رفضت الاصغاء اليه . من العدل ياسيدي ان تمنحني فرصة اخرى.

وعلى رغم ارادته ، اقنع تيل نفسه بان يعدل ولو لمرة واحدة .

قال بخشونة : حسنا .. اين يوجد ذلك الحانوت الذي تتحدث عنه ؟

فاجاب كوربو : لنكن موعدنا الساعة الخامسة الا ربعا هذا المساء .

* * *

سار ارسين لوبين في بوند ستريت .. وهو يشعر بطرب عظيم .. ولطالما شعر بكثير من الهدوء والرضاء في مثل موقفه الحالي .

وفي احدى يديه كان يحمل حزمة صغيرة يهزها اماما وخلفا كلما خطا خطوة واحدة .

ومن باب احد المنازل القريبة من حدائق برلنجتون برز المفتش تيل وقبض على ذراع لوبين بعنف .

واستدار لوبين على عقبيه .. وما ان وقع بصره على صديقه القديم حتى تهللت اساريره .. وابتسم ابتسامة عذبة بريئة .

ثم هتف : آه ! اهذا انت ياتيل ؟! هذا من حسن الحظ ولا شك . فانت الرجل عينه الذى كنت ابحث عنه .

وحينئذ وقع بصر لوبين على المفتش كوربو وهو يتقدم نحوه ترتسم على وجهه دلائل الظفر والانتصار .

وابتسم لوبين مرة اخرى .. ثم قال بتادب : مرحى يا كوربو .

فقبض كوربو على ذراع لوبين الاخرى .. ثم دفعه دفعة قوية سريعة ، جعلته يتقهقر الى باب المنزل الذى برز منه ..

وتحول كوربو الى تيل .. وقال :

— يبدو انني كنت على حق .

فظل تيل ممسكا بذراع لوبين ، وراح يرمقه بنظرة غامضة من عينيه اللتين تشبهان عينى الضفدعة .. ولكنها لم تكن كنظرة الغضب التى يرمق بها الناس بعضهم بعضا فى مثل هذه المواقف .

ثم قال بغباوة وتبلد : ايها الاحمق الشرير !! لماذا اقدمت على هذا العمل القبيح ؟ لقد اخبرتك حين جئتنى زائرا انك لن تتمكن من الهرب بحملك الثمين .

فسأل لوبين بسذاجة : اى حمل ؟

فجذب كوربو الحزمة من يد لوبين بعنف . وشرع يمزق غلافها بسرعة ولهفة .. وقال : اظن ان هذا ما نبحث عنه .

فلما انصدع الخيط .. وتمزق الغلاف الخارجى الفى كوربو نفسه ممسكا بصندوق صغير من ورق الكرتون .

وفتح كوربو الصندوق على عجل ، فاذا بداخله طبقة من اوراق النسيج فانتزعها باصابع مرتجفة ، وقذف بها الارض ، وراح يحدق بغباوة فى محتويات الصندوق .

وقع بصره فى قاع الصندوق على دمية (عروسة) من دمى الاطفال قد لفت فى ثوب انيق . ولها وجه مألوف لكوربو وقد احاط بعنقها شريط عليه رقعة مكتوب فوقها ما يلى : « مجموعة ابطال السينما رقم ١٢ كلارك جيبل ٢ — ١١ » .

وما ان رأى المفتش تيل محتويات الصندوق حتى انفرجت اسارير وجهه المحتقن .. وبدا عليه الارتياح والسرور فكان مثله كمثل رجل يقف عند فوهة بركان يرى الحمم ينفثها من جوفه فجأة .. فتتطاير من حوله كالبالونات ولكنها لا تصيبه باذى .

واما كوربو فقد اجهم وجهه ، وغلى مرجل الغضب فى صدره ، فأخذ يمزق الصندوق ويفحص اجزاءه بعناية خشية ان يكون بينها مخبأ اخفيت بداخله قطع الجواهر الثمينة .. فلما وثق من عدم وجود شيء بداخلها قذف بها جميعا الى الارض مغيظا محنقا .

ثم تقدم من لوبين .. وراح يصعده بنظراته . كانما يهم بالتهامه .. وصاح بوحشية : اين هى ؟

فسأله لوبين بخشونة : اين ماذا ؟

فقال كوربو من بين اسنانه :

— انك تعلم حق العلم عما اتكلم .. ماذا فعلت بالجواهر التى سرقتها من منزل اوبنهايم ليلة امس ؟! اين جواهر فاندروود ؟

فاجاب لوبين برفق :

— آه ! هذا سؤال مضحك .

واستند الى الجدار الذى ارغمه كوربون على الالتصاق به .. ثم اخرج صندوق لفائفه من جيبه .. فأخذ منه

واحدة اشعلها .. ونظر الى تيل .. ثم قال فى هدوء :
ـ اقول لك الحق ، ان هـــذا ما كنت ابغى مقابلتك فى شأنه .. فاذا كنت حقا شديد الاهتمام بمعرفة مصير جواهر فاندروود فانى على اتم اســتعداد لان اطلعك على مكانها فى الوقت الحاضر .

وماتت الضحكة على شفتى تيل .. وحلت محلها نظرة الزعاج ، كتلك التى ترتسم على وجه كلب القيت اليه عظمة غير مترقبة .. فلما اقبل عليها ينتزع بقايا اللحم منها .. حرمه بعضهم منها فجأة .

وقال بتمهل : اذن فلك ضلع فى المسألة ؟

فأجاب لوبين : اننى اعرف كثيرا من المعلومات عن هذا الحادث .. هلم بنا نستقل سيارة .

ثم استوى بعيدا عن الجــدار .. فبدا على كوريو كأنه يهم بدفعه مرة اخرى الى ناحيته ، ولكن تيل نظر اليــه محذرا ، وكانت نظـــرته ابلغ من محاضرة طويلة . فسكت واستكان .

ونظر لوبين الى تيل بعينين ضاحكتين .. ولكن المفتش تبين من خلال نظرة غريمه العنيد ان فى الامر شــيئا .. فتراجع الى الوراء وافسح الطريق للوبين ، فتقدم هذا بخطى ثابتة مطمئنة من سيارة كانت تقف على مقربة .. وفتـــح بابها ، ثم اشار الى رجلى البوليس بالركوب .

سأل تيل والسيارة تنحدر الى ساحة بيكادللى :
ـ الى اين نحن ذاهبون ؟

فابتسم لوبين .. واشعل لفافة تبغ ضاربا صفحا عن سؤال تيل .

وما هى الا هنيهة حتى بدا حديثه قائلا :
ـ يحكى انه كان هناك مفتش انيق بين مفتشى سكتلانديارد وكان هذا المفتش لبقا ذكيا .. استطاع بعد خدمة بضعة

اعوام فى البحث الجنائى العادى ان يكتشف ان الصــعوبة الرئيسية فى هذا البحث انما تنحصر فى كيفيــة العثور على مرتكب الجريمة .. وهذا يؤدى غالبا الى عمل كثير مرهق وفشل ذريع متعاقب .. ولما كان هذا الشخص لبقا كمـا قلت فقد استنبط وسيلة اسهل اساسها اقناع اللصوص بالكشف عن مستور اسرارهم .. فمثلا لنفرض ان لصا سرق مجموعة ثمينة من الجواهر ولكنه لم يشأ ان يخبئها فى ثلاجة خشية ان يتجمد فوقها الثلج .. ففى استطاعته ان يلجأ الى المفتش اللبق طلبا فى حل سهل هين .. وعنـــدئذ يطيل مفتشنا الماهر التفكير والتأمل .. ثم يقول : حســنا يا سارق الكنوز .. ان المسألة بسيط حلها .. فى استطاعتك ان تذهب وتخفى هذه الجواهر فى (مهفة الفبار) فى شارع جريك .. او ان تعلقها فى احدى الاشجار بهايد بارك . او ما شابه ذلك .. وساقوم انا ببعض التحريات التى تدل على طول الباع فى البحث الجنائى .. واعثر على الجواهر . . وعندئذ استولى على المكافأة التى تهبها شركة التأمين .. ثم نقتسمها معا .. ولا ريب ان هذه الصفقة ترضى اى لص فى لندن .. ولكنها من ناحية اخرى تحرم حوانيت شراء الامتعة المسروقة من حق الحياة .

وكف لوبين عن الكلام .. وكانت السيارة قد وقفت فى تلك اللحظة امام فندق حقير بالقرب من شارنج كروس .

ومال مستر تيل الى الامام فى مجلسه .. وراح ينظر الى لوبين فى دهشة وعجب .. وقد ارتسمت فى عينيه تلك النظرة الكسولة المتبلدة .

ثم قال بصوت اجش : استمر

فهز لوبين رأسه سلبا .. واشار الى باب الفندق قائلا :
ـ ينبغى اولا ان نغير المنظر .

وهبط من السيارة .. ونقد السائق اجره .. فتبعه

مفتشا البوليس صامتين الى الفندق .

وكان تيل هادىء الوجه ، جامد النظرات .. واما كوريو فقد فر لونه وبدا عليه الاضطراب والقلق .

وتوقف لوبين فى الدهليز .. والتفت الى كوريو وقال :

ـ هل لك ان تطلب المفتاح ام اتولى عنك ذلك ؟ لخير الف مرة ان تطلبه انت من .. ثم استطرد بلهجة رقيقة :

ـ فان الحمال لاريب يعرفك جيدا ، حتى ولو كان يجهل اسمك الحقيقى .

فقال كوريو ببرود : انا لا افهمك .. عم تتكلم ياسيدى؟ ثق انك اذا كنت تفكر فى السخرية منا .. والهزء بنا .. او اقصائنا عما نسعى اليه باحدى اقاصيصك الكاذبة ، فانك ولا ريب تضيع وقتك .

ثم تحول الى تيل .. واستطرد :

ـ ان لى غرفة فى الفندق ياسيدى .. وكثيرا ما الجأ اليها اذا اقتضت دواعى العمل بقائى فى المدينة الى ساعة متاخرة من الليل . انى لم استاجرها باسمى الحقيقى لاننى جبنا يا سيدى .. اننى ابغض ان يعرف الناس من انا وقد استطاع هذا الرجل ان يعرف سرى بوسيلة ما ، ولعله الان يحاول ان يضللنا لينجو من العقاب الذى ينتظره .

فقال تيل برقة غريبة :

ـ مهما يكن ، فانى احب ان اصعد معه ، فمازلت متلهفا الى سماع المزيد من هذه القصة السخيفة .

فاستدار كوريو على عقبيه .. ومشى الى الكاتب .. وطلب منه مفتاح الغرفة .. ومن ثم ارتقوا الدرج الى الطابق الثالث .

كانت غرفة حقيرة ، تنتشر فى ارجائها قطع الاثاث بغير عناية ولا ترتيب ، فاجال المفتش تيل بصره فى انحائها . ثم نظر الى لوبين متسائلا

وقال : استمر يالوبين .. اننى مصغ اليك .

فجلس لوبين على حافة الفراش .. واخذ ينفث الدخان من فمه فى حلقات متتابعة .. وظل يرقبها وهى تتصاعد فى الهواء ثم تتلاشى .

واخيرا قال : كان من المحتمل ان يتمادى صاحبنا فى فعاله .. واساليبه ، لم يفكر فى طريقة اكثر ادرارا للكسب وهى قرن العمل بالسعى وراء الحصول على المكافآت .. فخطر له ان يحظى بشرف ايقاع اللص المشهور ارسين لوبين فيرتفع نجمه عند رؤسائه .. ويظفر بالمكافأة القيمة التى ستعرضها شركة التامين . وصاحب جواهر فالدروود لاسترداد هذه المجموعة النادرة .

وقد هداه شيطانه الى حيلة بارعة .. فاستخدم فتاة صغيرة جميلة .. (ينبغى ان تراها يانيل فهى فتاة ظريفة تعتقد اعتقادا جازما ان لوبين لا يفر من وجوه الحسان ولو ادى ذلك الى دماره) .. اعود فاقول ان هذا الشخص الفذ استخدم تلك الفتاة للايقاع بارسين لوبين .. وزودها بقصة مدهشة عن سوء الحظ ، وما يعانيه المرء من الجوع والمسغبة ولعمرى لقد برهن على طول باع وحسن خبرة بفن الاخراج فاستطاعت الفتاة ان تثير فى نفس ارسين لوبين الاهتمام بجواهر مستر اوبنهايم ، بل لقد جعلته يعتقد ان مجرد تجريد ذلك الصعلوك (اوبنهايم) من جواهره لهو اعظم عمل انسانى يمكن ان يسديه للمجتمع .

ولم يقتصر هذا المخرج البارع على اغراء ارسين لوبين بالاهتمام بامر جواهر اوبنهايم ومحاولة سرقتها . انما احتاط لكل طارىء قد يجد . فزود صنيعته بالدقائق والتفاصيل اللازمة لتستطيع اقناع لوبين بان الامر لا يحتاج الى كبير عناء او جهد .. وهكذا يتسنى للمفتش الانيق ان يضرب عصفورين بحجر واحد وهو آمن مطمئن على سلامته ومركزه .

وامسك لوبين .. وابتسم ابتسامة الحالم ثم استطرد بعد هنيهة :

ـ وقد اتفق لسوء الحظ ان التقيت بالفتاة التى اتحدث عنها فى وقت لم تكن تتوقع لقائى فيه .. وسمعتها ذات مرة تتحدث تليفونيا مع شخص يدعى كوربو .. وفى اثناء حديثهما سمعتها تقول له انى وقعت فى الشرك ، وان النصر مكفول . ولا خطر البتة عليهما من عدولى عن سرقة جواهر اوبنهايم . ولما كنت قد اطلعت فى صحيفة « بولدوج » على حديث جاء على لسان كوربو هذا ، وفيه بعض فقرات تتعلق بى .. فقد اثار ذلك اهتمامى بالمفتش الانيق ، وعولت على استكناه حقيقته ومعرفة غاياته ومراميه .

فاجفل كوربو . وهم بالانقضاض على لوبين وصاح :

ـ اصغ الى ياهذا .. انك ..

فاسرع تيل واوقفه مكانه قائلا :

ـ مهلا لحظة .. انى مشوق لمعرفة النهاية .. هل ارتكبت سرقة جواهر فاندروود يا لوبين ؟

فهز لوبين راسه سلبا .. وتجلت فى عينيه القاهرتين المتسلطتين نظرة حزينة .. ثم سأل بهدوء :

ـ لا احسبك تعتقد انى من هذا الطراز من الناس ياتيل كنت اعلم انه من المحتمل ان يكون فى استطاعتى اغتصاب الجواهر والفرار بها ، لان كوربو يريد ذلك منى .. ولكن ما ان يتحقق من سرقتى لها ، وذلك طبقا لخطته الموضوعة حتى يهب لمطاردتى ويستعيد الجواهر .. وقد جعلنى هذا الخاطر اعدل عن الاقدام على السرقة .. فاعلنت النبأ للفتاة وانا اعلم مدى التضحية فى عملى هذا .. ولما سألتنى عن سبب عدولى ، انبأتها انى جد مشغول .

وتنهد لوبين دلالة على الاسى .. ثم استطرد :

ـ فى استطاعتك ان تتكهن ببقية القصة يا تيل .. فقد جاءتنى الفتاة صباح اليوم .. واعطتنى بطاقة لغرفة معاطف محطة فكتوريا ، وطلبت منى ان اذهب لاحضار طرد صغير من هناك وموافاتها الى منزل معين فى بوند ستريت فوعدتها بالذهاب ، ولكننى لم اذهب ، فقد تكهنت سلفا بما سيحدث ان ذهبت . ومجمله ان الطرد الذى تنتظره الفتاة انما يحتوى على بعض ـ لا كل ـ مجموعة جواهر فاندروود ، فانه من المجازفة وضعها كلها داخل الصندوق خشية أن تحدثنى نفسى اثناء الطريق بفتحه ، والفرار بالغنيمة . ولعل بقية مجموعة جواهر اوبنهايم موجودة هنا فى هذه اللحظة فقد دابت منذ دخولنا على فحص كل ما تشتمل عليه الغرفة بعينى ، واكبر ظنى انى وفقت فى معرفة مكانها .. انظر الى هذا المقعد ياتيل . الا تلاحظ ان (التنجيد) حديث العهد .. ومنظره يدل على ان صانعه « منجده » انما هو هاو وليس خبيرا بمثل هذه الشئون ؟

وتقدم لوبين من المقعد بخطى متمهلة فاعترض كوربو سبيله وشرر الغضب يتطاير من عينيه . وصاح مزمجرا :

ـ قف حيث انت .. اذا كنت تبغى الفرار من وجه العدالة باختراع قصة ملفقة .. !

فقال لوبين :

ـ دعنا نتأكد اولا من وجود الجواهر فى المقعد .. ثم تذكر انى ركبت امس آلة لاقطة للاصوات « ديكتافون » اسفل هذه المنضدة .. فلنر اذا كان لديها ما تقوله .

وحدج تيل مساعده بنظرة صارمة .. فانكمش هذا فى مكانه .. بينما تقدم لوبين من المنضدة واخرج من تحتها آلة التقاط الاصوات . واسطوانة ركبها فوق الآلة وادارها . وما ان نطقت الاسطوانة باول كلمة ، حتى انتفض تيل ـ عرف فى الصوت صوت مساعده كوربو .

وفيما يلي الحديث الذى سجلته آلة التقاط الاصوات على الاسطوانة :

« ــ هذا عمل باهر ياليو .. اراهن على انها تساوى اكثر من المبلغ الذى ابتاعه بها اوبنهايم .

فأجاب صوت آخر غير معروف لتيل :

« ــ بالجهنم .. كانت المهمة سهلة بسيطة . وجــرت الامور فى السبيل الذى رسمته لها من قبل .. ولكن كيف ستعمل على الصاق التهمة بالشاب الذى حدثتنى عنه ؟

« ــ ذلك امر هين ميسور . فستحمــــله الفتاة على الذهاب الى محطة فكتوريا لاحضار طرد صغير هناك .. ثم تطالبه بموافاتها فى مكان معين ساحدده لها .. اننى على تمام الاهبة لاقتناصه .

« ــ لا احسبك ستجازف باعطائه كل المجموعة ؟

« ــ لا لكن احمق .. سأضع منها فى الصندوق مايكفى لالصاق التهمة به .. فاذا ما قبض عليه امكن وضع بقيتها فى مكان معين والعثور عليها »

كادت عينا كوريو تبرزان من محجريهما .

وصرخ بجنون : هذه مكيدة مدبرة .. فقد عبات هــذه الاسطوانة امس اثناء قيامى بدور تجريبى فى احد الافلام .

فابتسم لوبين ابتسامة مؤدبة .. ثم مزق قماش المقعد ومد يده داخله واخرج حقيبة جلدية صغيرة بها من الجواهر ما يعادل مائتى الف من الجنيهات .

ثم غمغم بعطف :

ــ شد ما آمل ان تتمكن من تبرئة نفسك ياكوريو .

ونظر الى تيل نظرة ذات مغزى .. فتقــدم هذا من مساعده ووضع يده على كتفه وقاده الى الخارج ..

« تمت »